

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
أحمد حسن الزيات

٣٠ في مصر والسودان
٥٠ في الممالك الأخرى
١ ثمن العدد الواحد

الإدارة
شارع عبد العزيز رقم ٣٦
العتبة الخضراء - القاهرة
تليفون ٤٢٣٩٠ ، ٥٣٤٥٥

الرواية

مجلة أسبوعية للقصص والروايات

تصدر مؤقناً في أول كل شهر ونصف

العدد الأول ١٩ ذو القعدة سنة ١٣٥٥ — أول فبراير سنة ١٩٣٧ السنة الأولى

الرواية

إلى الذين ملكهم الجمال ولم يملكوا الأمانة عن آثاره ؛
إلى الذين تيممهم الحب ولم يحسنوا العزف على قيثاره ؛
إلى الذين شاقهم الأدب ولم يستطيعوا النفوذ إلى أسرارهِ ؛
إلى الذين اعتقلهم الهم ولم يجدوا الفكاك من إيساره ؛
إلى هؤلاء جميعاً أقدم هذه المجلة . وما هي إلا نفحة
من الشعور الانساني الرهيف ، ولعة من البيان
الروحي المشرق ، ستلاقى عندها الأذواق السليمة ،
وتتعارف عليها الشاعر الكريمة ، وتتألف بها
عبقرية الشرق وعبقرية الغرب

والله وحده هو العليم بما نكبد في سبيلها وفي
سبيل أختها من العناء والأيثار والجهد . وفي سبيل
الأدب كل أذى يحتمل ؛ وفي حب العربية كل
بذل يموض ؛ وفي خدمة الوطن كل صعب يهون
أحمد حسن الزيات

فهرس العدد

صفحة

- | | |
|----|--|
| ١ | الرواية أحمد حسن الزيات ... |
| ٢ | ضوء القمر لموباسان |
| ٦ | أحمد حسن الزيات |
| ٦ | الذي يضحك أخيراً ، يضحك كثيراً |
| ١٣ | الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني |
| ١٣ | لوفان من الحب لبلاسكوا يانيز |
| ١٩ | الأستاذ محمود تيمور |
| ٢٧ | النيورا لادجار آلن بو |
| ٣٢ | الأستاذ محمود الحنيف |
| ٣٩ | مقتل رضوان كتحدا |
| ٣٩ | الأستاذ محمد فريد أبو حديد |
| ٤٦ | بجهود ضائع لمجريت كندى |
| ٥٠ | الأدب أحمد فتحي مرسى |
| ٥٠ | جوليا أو هيلويز الجديدة لجان جاك روسو |
| ٥٠ | أحمد حسن الزيات |
| ٥٩ | يوميات نائب في الأرياف |
| ٥٩ | الأستاذ توفيق الحكيم |
| ٦٣ | اعتراقات في مصر لألفرد دي موسيه |
| ٦٣ | الأستاذ فليكس فارس |
| ٦٨ | الأوذبسة لهومبروس |
| ٦٨ | الأستاذ دريني خشبة |
| ٦٨ | مقالة جبل إفرست |



لنفسه مكان الله حتى يجد ، وغالباً ما كان يجد .
فليس هو الذي ينعم في سورة من التقي الخاشع
بهذه الجملة : « مولاي ! لقد جلت مقاصدك عن
عقول الناس ! » وإنما يقول : « أنا خادم الله فيجب
أن أعرف علل تدبيره وحكم تصرفه ، إن
يكن على وجه اليقين ، فعلى وجه الحدس والتخمين » .
ففي رأيه أن كل شيء في الطبيعة إنما خلق على
مقتضى نظام عجيب ومنطق مسلم ، (لماذا) و(لأن)
بتمادلان دائماً في ميزان عقله . فالفجر يبرز ليستيقظ
الناس في مسرته وبهجته ؛ والنهار يفتح ليبتدئ
التمر وينضج الحصيد ؛ والمطر يهيم لتحيا الأرض
وترتوي الزروع ؛ والسماء يقبل لياوي الناس إلى
المضاجع ؛ والليل يحلوك ليلقوا بأنفسهم في
أحضان الكرى ؛ والفصول الأربعة إنما تنطق
كل الانطباق على حاجات الزراعة . وهيهات
أن تداخل القسيس شبهة في أن الطبيعة لا غرض
لها ، وأن كل شيء فيها إنما يخضع لضرورات
الوقت والاقليم والمادة . ولكنه كان يكره المرأة ؛
يكرهها من وراء وعيه ، ويحتقرها بمحض غريزته .
وكان كثيراً ما يردد قول المسيح : « أيتها المرأة ،

للطبيب الفرنسي جيمس ماريان

بقلم أحمد حسن الزيات

كان الأب ماريان يحمل اسمه الحربي ^(١) عن
جداره . والأب ماريان قسيس كبير ^(٢) متعصب
ضامى الجسم نافر النفس ، إلا أنه مستقيم خير .
نابت العقيدة لا يتذبذب ، صادق الإيمان
لا يشك ، وهو يعتقد مخلصاً أنه يعرف الله ويستبطن
أسرار حكمته وأغراض مشيئته . كان إذا سار
أحياناً بخطاه الواسعة في ممشى مسكنه الربيع الصغير
ونظر في الشيء بعد الشيء ، قام في ذهنه هذا
السؤال : « لماذا خلق الله هذا ؟ » ثم يبحث
عن الجواب ويلج في البحث ، متخذاً بفكره

(١) كانوا في الزمن القادر يلقبون الجندي حين دخوله
في الخدمة بلقب . وماريان لقب هذا القس اسم مدينة إيطالية
تقع في الجنوب الشرقي من ميلانو . وقد انتصر فيها الفرنسيون
على سويسرة سنة ١٥١٥ وعلى النمسا سنة ١٨٥٩ .
(٢) كبير (grand) لقب كان يعطى للأولاد المتأخرين
في طبقتهم من المعلمين والكهنة والسادة الخ .

تعايش أمها في منزل صغير مجاور ، فكان يحرص كل الحرص على أن يحمل منها راحة ، ولكنها كانت على طرفها رعناء ساخرة . كانت تضحك منه إذا وعظ ؛ فإذا غضب عليها قبلته بقوة ، ثم ضمته إلى صدرها بشدة ، فيحاول هو مضطراً أن يتملص من هذا العناق الذي يبعث فيه مع ذلك نشوة السرور العذب بأيقاظه شعور الأبوة الراقدة في قرارة كل نفس

كان يحذنها عن الله ويسارها جنباً إلى جنب في مسالك الحقول فتجمل حديثه دَبرَ أذنيها ، ثم ترسل نظرها في السماء والمشب والزهر وقد ترامت في عينها سعادة الحياة وزهرة العيش ؛ فإذا رأت فراشة تطير عدت وراءها فقنصتها ثم صاحت : « انظري أعماه ما أجملها ! إن نفسي تنازعني إلى تقبيلها ! »

هذه الحاجة إلى (التقبيل) البادية في لثمها هوام الطير وحبّ الشجر ، أزججت القسيس وهاجت بلابل صدره ، لأنه رأى هنا كما رأى هناك هذا الحنو المتأصل الثابت الذي ينبت دائماً في قلب المرأة . وفي ذات يوم أقبلت امرأة سادن الكنيسة ، وهي مدبرة منزل القسيس ، مخبر الأب مارنيان في حيلة شديدة أن ابنة أخيه عاشقة ! كان القس يخلق لحيمته ففجئته روع الخبر فبهت ووجم ، وترك الصابون على وجهه وأقام ساعة لا يتحرك ولا يطرف . فلما ذهب عنه الدهش وتلب إليه الرشد صاح في وجه المرأة قائلاً : « هذا غير صحيح ! إنك تكذبين يا ميلاني ! »

واسكن المرأة القروية وضمت يدها على قلبها وقالت : « لعني الله يا مولاي القس إذا قلت في ابنة أخيك الكذب . أقول لك إن لها عاشقاً تخرج إلى لقائه كل مساء بعد أن تنام عين أخيك ؛ وإنهما

هل بينك وبينى شركة ؟ » ثم بعقب على هذا بقوله : « كأن الخالق نفسه ساخط على هذا المخلوق ! »

هي في رأيه الطفلة التي غشها الدنس اثنتي عشرة مرة كما زعم الشاعر ؛ وهي التي أغوت الانسان الأول ولا تزال تواصل عملها المهلك في بنيه ؛ وهي السكان الضعيف المخطر الذي يكدر صفو العالم في علن وخفية . ولقد كان يفيض روحها الجذاب أكثر مما يفيض جسدها المهلك ؛ وكان كثيراً ما يندسّم عليه حنان المرأة فيتغيظ من عاطفة الحب التي تمتلج دائماً في نفسها ، وإن كان هو في حصن منيع من تأثيرها . وهو يرى أن الله لم يخلق المرأة إلا فتنة للرجل ومحنة . فهو جدير بأن يتقيا كما يتقى الشرك ، فلا يدنو منها إلا على حذر . ولعلها أشبه ما تكون بالفتح حين تبسط ذراعيها وتفتح شفيتها للرجل . كان لا يتسع صدره إلا للراحيات ، لأنهن نذرن أنفسهن لله فاعتصمن برعايته . ومع ذلك كان يقسو عليهن لأنه لا ينفك يحس في صميم قلوبهن المغلولة الضارعة ذلك الحنان الأبدي الذي يدرك - وهو قسيس - أثره في نفسه . كان يحس ذلك الحنان في نظراتهن وهي أشد من نظرات الرهبان اخضلالاً بالدمع وابتهالاً بالورع ، وبحسه في تجايعن الروحي وقد اختلطت به عواطف جنسهن ، وبجسده في زعات جنهن إلى المسيح ؛ وذلك الحب يوغر صدره بالحنق لأنه يرى فيه حب المرأة وهوى الجسد . يحس ذلك الحنو المللون في وداعتهن أنفسها ، وفي رخامة أصواتهن لدى الحديث ، وفي أطرافهن الغضبية عند النظر ، وفي دموعهن المستكنية حين يؤنبهن بقسوة على خطأ كان إذا ما خرج من ديرهن نقض مسوحوه واندفع هرولاً كأنما يفر من خطر . وكان له بنت أخ

صفوفها المنظمة ترسم بالظلال على المشى افنانها
الريقة المخضرة ، على حين كانت شجرة زهر
العسل المتسلقة على جدار منزله تسطع بالنفحات
اللذيذة الحلوة ، فتطيف في المساء الفاتر الزاهر نوعاً
من الأرواح العطرية

أخذ القسيس يتنفس ملء رئتيه ، ويمب
النسيم كما يعب السكير الخمر ؛ ثم مشى وتبدل الخطو ،
مأخوذ اللب ، مشترك الخاطر ، لا يكاد يجرى على
باله ذكر ابنة أخيه . فلما صار بين الحقول
وقف يتأمل السهل كله وقد غمره سحر الليل البهى
وأغمره ضياء القمر اللطيف

وكانت الضفادع في كل لحظة ترسل في الفضاء
أناشيداً القصيرة الأبقاع المدنية الصوت ،
والبلابل البعيدة تضيف إلى ضوء القمر أغاريداً
المتقطعة التي تهيج الأحلام وتبحس على القبل . ثم عاد
الأب يمشى وقد أحس فجأة بقلبه ينسرق وبقوته
تخور دون أن يعلم لماذا ، وود لو يجلس حيث كان
فيتأمل جلال الله ويتملى جمال صنعه !

وهناك على ضفة النهر قام صف عظيم من شجر
الحور متمرج مع الساحل ينبعث من خلاله
غماغم رقيقة من الأصوات المختلفة ، وفوق الشاطئ
الوعر ومن حوله انعقد بخار أبيض قد اخترقته أشعة
البدر فلمع وتفضض ، ثم غطى مجرى الماء بما يشبه
القطن الرقيق الشف

وقف القسيس مرة أخرى وقد تخللت قلبه
رقعة نامية لا تقاوم ، ثم تسخّلجه شك مريب ،
واستولى عليه قلق مبهم ، ثم نشأ في خاطره سؤال
من نوع ما كان يلقيه أحياناً على نفسه : « لماذا خلق
الله هذا ؟ إذا كان الله قد جعل الليل لباساً ونعاساً
فلا هو للشعور ولا للعمل ولا للذكر ، فلماذا جعله

ليلتين على ضفة النهر ؛ وتستطيع أن تراها
بعينيك إذا ما ذهبت هناك بين الساعة العاشرة
ومنتصف الليل »

أمسك الرجل عن خلق ذهنه ، وأخذ يمشى
ويعنف في مشيه كدأبه في ساعات التأمل الخطير .
ولما استأنف حلق لحيته جرح نفسه ثلاث مرات
فيما بين أنفه وأذنه ؛ وظل طول يومه صامتاً متلداً
وقد انتفخت أوداجه من الفيظ ، وانتسف لونه
من الغضب . اجتمع فيه فزع القسيس أمام الحب
القاهر ، إلى حلق الوالد ذي الخلق ، والوصى ذي
الضمير تمكر به طفلة فتخذه وتسرقه . أضف إلى
هذين وجوم الأمانة الذي يمتري الأهل حينما تعلمهم
الفتاة أنها اختارت زوجها دون رأيهم وعلى رغبتهم
فرغ من عشائه ثم حاول أن يتلهى قليلاً بالقراءة
فلم يستطع ، وأحس بالفيظ تزداد فورته في صدره .
فلما دقت الساعة عشراً تناول عصاه ، وهي
هراوة ثقيلة من شجر البلوط يستخدمها دائماً في
جولاته الليلية كلما خرج إلى عيادة مريض .

نظر وهو يبتسم إلى العصا الضخمة ، ثم أدارها في
كفه القوية القروية دورات رحوة مهددة ؛ ثم
رفعها فجأة ، وهو بحرق الأرم ، وأهوى بها على
كرسي فخطمت مسنده . ثم فتح الباب وأراد
الخروج ، ولكنه وقف على عتبته مشدوهاً من
اقتلاق ضوء القمر ، وهو ضوء لم يشهد مثله قبله
أحد . وكان الله قد وهب الأب مارتينان فكراً
وناباً لا يهبه إلا الآباء الكنيسة ولأمراء القريش ،
فوقف ذاهلاً متأثراً بجلال الليل الساجي وجمال
القمر الشاحب !

كان كل شيء في حديقته الصغيرة غريباً في
الضوء اللطيف ، وكانت أشجارها المثمرة في

المختوضر ، وتحت قبة الشجر الخائض في الضباب
اللامع ، شخصين عشيان جنباً إلى جنب . كان
شخص الفتى أطول من شخص الفتاة ، وكان الحبيب
قد طوق بيده جيد الحبيبة ، وهو من حين إلى حين
يقبلها فوق الجبين . فبعث محضر الماشقين الحياة
فجأة في هذا المنظر الهامد ، فكأنه لاشتماله عليهما
وتماقه بهما إطار صاعته يد الله خاصة لهذه الصورة
كان الماشقان كأنهما كائن واحد ؛ وهذا
الكائن الواحد هو الذي خلق الله له هذا الليل
الساكن الساكن ، وقد أقبلنا نحو القسيس
كأنهما الجواب الحى أرسله الله إليه عن سؤاله
كان القسيس لا يبرح واقفاً وقد اشتد
وجيب قلبه ، وزاد اضطراب شعوره ، ولم يبق
لديه شك في أنه يشهد حدثاً من أحداث التوراة
كفرام (روت) و (بوز) ، وأن ما يراه إنما هو
قضاء لمشيئة الله أراد أن ينفذه في هذا الزخرف
الفخم الذى تحدثت عنه الكتب المقدسة . ثم
أخذت تدوى في رأسه آيات (نشيد الأناشيد)
بما فيها من صراخ الرغبة ونداء الجسد وحرقة
الفؤاد . فلم يبالك أن قال لنفسه : « لعل الله قد
خلق هذه الليالى ليجمعها لفرام الناس غلالة من
الجمال الأعلى : » ثم نكص على عقبيه أمام هذين
الماشقين المتعاقبين وكانا لا يزالان عشيان :

تلك كانت ابنة أخيه وذلك كان حبيبها .
ولكنه الآن قد سأل نفسه : ألم يكن على وشك
أن يعصى الله ؟ أليس الله قد سمح بالحب مادام قد
أحاطه بمثل هذا السنا الباهر ؟ ثم ولى مدبراً وهو
ولهان خزيان كأنما دخل معبد لا يحق له أن يدخله !
أحمد حسن الزيات

أبهى من النهار ، وألطف من المساء ، وأعذب من
الفجر ؟ » ولماذا يشف هذا الكوكب البلى
القرار حجب الظلمات فيكون أقرب إلى الشعر
والسحر من الشمس ؟ وكأنه خلق رصيناً كتوماً
ليفضى للناس أشياء هى أدق على النهار وأخفى ؟
لماذا كان أبرع الطيور المفردة لا تسكن في الليل
كما تسكن الطيور الأخرى ، وإنما تسجع بأغاريدها
وسط الظلام المضطرب ؟ لماذا ضرب هذا النقاب
الشفاف على وجه العالم ؟ لماذا يأخذ القلب هذا
الارتجاف ، ويملك النفس هذا الانفعال ، ويبتري
الجسم هذا الممود ؟ لماذا تظهر هذه المفاتن المغرية
مادام الناس ضاجمين في أسرهم لا يرونها ؟
لن هذا الشهد السحري الجليل وهذا الفيض
الشعري الجميل الذى ينسكب من السماء على الأرض ؟



وحاول القسيس أن يجد لهذه الأسئلة أجوبة
فلم يوفق ؛ ولكنه أبصر هنالك على حواشى المرج

قالت ببساطة :

« أوه ... أظنه ملئنا ... »

سافر ليبحث مع شريكه

أمر هذه الشركة الجديدة التي

يريد أن يؤلفها .. إنك تعرفه ..

لا يعترف بعيد ، ولا يطبق أن

يقعد بلا عمل »

فسرني أنها تكذب لتستر

حقائقه ، وكنت أعرف أن هذه

كذبة لأنه أخبرني بما تم فالأمر

مفروغ منه ، ولا حاجة به إلى

سفر جديد ، ولكنها لم تكن

تدري أني أعرف هذا ، وإلا

الذي يضحك الخيل ، يضحك كثير

للاستاذ إبراهيم عبدالقادر المازني



للجأت إلى كذبة أخرى

وقضينا النهار على خير ما نستطيع ، وإذا بنا

بعد العصر نتلقى هذه البرقية :

« اصطدمت السيارة ونحطمت وإصابتي خفيفة ،

فهل تستطيعين أن تحضري ؟ سيكرن سيد بانتظارك

بسيدي جابر »

فدعونا جميعاً فقد كان من الواضح أن الحادثة

أكبر مما زعم . ولم تستطع أختي أن تضبط نفسها

فبكت ؛ وهمت أي أن ترجعها عن البكاء ، فقالت

لها : دعها فما خلق الدمع للناس عبثاً . فقامت

ترتب لها أشياءها في الحقيبة ، وتضع معها ما قد

يحتاج إليه زوجها مخافة أن تكون حقيبتها قد

فقدت في الحادثة ، أو تركت مع السيارة المحطمة

وقلت لأخي : « إذهبي معها وسألحق بكما غداً

فاني مضطر إلى البقاء الليلة ، وأبرقوا إلى في الصباح

بعد أن تروه ليطمئن قلبي »

لما جاءني رسول

أختي برقعة منها يدعونا

فيها - أي وأنا - إلى

قضاء العيد معها لأن زوجها

سافر إلى الإسكندرية ، أدركت

أن في الأمر شيئاً وأن خلافاً

لا بد أن يكون قد شجر بينهما ؛

ولكن دقة احساسها بالواجب

حملتها على البقاء في بيتها بدلاً

من أن نجيء هي إلينا . ولم تفت

أي دلالة هذه الدعوة فقد سألتني :

« أظن أن شيئاً حدث ؟ »

فقلت : « لا بد » ؛ فقالت : « أترى

أن نسألها ؟ » فهزئت رأسي ؛ فليس أ كفل بفساد

الأمور بين زوجين - في رأيي - من الدخول بينهما

وكان وجه أختي وحده كافياً للارتفاع بالظن

إلى مرتبة اليقين . نعم كانت تبتسم ، ولكن

ابتسامها كان متكاملاً ، وكلامها أكثر مما ألفنا منها ،

وحركتها أسرع ؛ وكان لونها ممتعماً حتى لقد

احتاجت إلى الأحمر لخدبها وشفقتها . وكان الجو

بارداً فاحتجنا إلى ما ندقأ به فجاءتنا بموقد صار الفحم

فيه جراً ، لأنها تكره مدفأة الكهرباء أو البترول

لشدة تجفيف الكهرباء للجو ، والبترول له

رائحة لا تطيقها

وسألته وأنا أتبتسم : « وأين اللعين زوجك ؟ »

وكان لا بد أن أسألها عنه وإلا كان اجتناب

ذكره وإشياً بالفطنة إلى ما عسى أن يكون قد وقع

بينهما . وما دامت هي لم تقل شيئاً فقد يربكها أن

تعلم أننا نعلم

نصنع الآن ؟ ... فكر ... فكر ... فقد ضاع
عقلي ... فريدة ! من بدرى فى أبدي من من الأشرار
ستقع الآن ؟ »

فقلت : « وأنى أيضاً معها ... رهينتان
لا واحدة يا صاحبي »

فقال : « رهينتان ... هل تمنى أنك تعتقد ... »
قلت : « بالطبع ... أى معنى لهذه البرقية غير
ذلك ؟ ... إنها شرك ... وليس المهم الآن حل اللغز
بل السفر وراهما لا تفاديهما ... لمتعهما من الوقوع
فى أبدي هؤلاء الأشرار كائنين من كانوا »

فقال : « صدقت ... قم بنا »

قلت : « سيارتك لا تناسب لهذا ... ألا تستطيع
أن نجد لنا سيارة قوية ... تستميرها من أى صديق ؟
وفى هذه اللحظة أقبل أخى فتشهدت
واستبشرت ، فقد كانت له سيارة جديدة من طراز
هندسون تستطيع أن تطير بنا ، فدفعته إلى الباب
وسبقته إلى السلم وأنا أناديه وأدعوه أن يسرع ورائى
وكان أخى يكره السرعة فتوليت أنا القيادة
وجلس هو وكتبه معه ورائنا ، وجلس خليل مئى ،
وكان لا بد من التمهّل حتى نخرج من المدينة
وإلا عطلنا الشرطى ، وكنت كالجالس على الحجر
ولكن ما حيلتى ؟ ... »

واجتزنا شبرا بعد أن ضاع ربع ساعة ثم
فسألت أخى : « هل الأنوار قوية ؟ » ولم تكن فى
حاجة إلى السؤال ، فانى أنا السائق وأماى مفتاح النور
وفى وسى أن أجرب ، ولكن السؤال جاء دليلاً على
مبلغ اضطرابى ... ودليل آخر على هذا الاضطراب
هو أننا لم نخبر أخى ما الحكاية فراح يكلم كلبه
ويقول له :

وودعهما فى المحطة وعدت إلى البيت - بيت
أختى - حزينا كاسف البال موجع القلب ؛
وجلس فى البيت أفكر فى هذا الحظ المبيء ،
وأستخط على خليل ، وأقول لنفسى : هل كان لا بد
أن يصنع هذا الأحمق ما صنع ، وأن يعلن إلى زوجته
الجفوة ليلة العيد ؟ وبروح يكسر عظامه أيضاً ويرج
زوجته هذه الرجة الشنيعة ؟ . ولكنه اتى فوق
جزائه ... مسكين ! . ومن بدرى ماذا جرى له ؟
ولعله الآن مشغول على الهلاك ، وإنها لقسوة أن
ألومه . ثم انه كان مثال الزوج الصالح ، ولم تكن
سيرته معها قط إلا سيرة الحب الذى لا يعنيه من
الدنيا سوى زوجته ، فماذا يأتى جرى حتى كانت
هذه الجفوة المشؤمة ... ؟

وإنى لجالس أدخن سيجارة فى أثر أخرى وبى
ما يعلم الله من الحزن ، وإذا بخليل داخل كالقنبلة !
فانتفضت واقفاً ، وحدثت فى وجهه مذهولاً وفى
مفتوح كالأبله . فلما رآنى كذلك وقف هو أيضاً
وسألنى أول ما سأل : « أين فريدة ؟ »

فأحسست أنى سأسقط على الأرض فأنحططت
على أقرب كرسي ، ورفعت يدي إلى رأسى . فأقبل
على يهزنى بعنف ويقول بصوت عال جداً : « أين
فريدة ؟ ... قل ... انطق ... ماذا جرى ؟ »

فحاولت أن أتكلّم ، ولكن لسانى وقف فى
حلقى فأشرت إلى البرقية المشؤمة وكانت مطوية
على المنضدة ، فتناولها مستغرباً ، ولم يكدهم بقرأها
حتى صرخ : « إيه ؟ »

فوجدت لسانى وقلت : « ماذا تظن ؟ ... من
أرسل هذه البرقية ؟ »

قال : « لا أدري ... ولكنها مصيبة ... ماذا

السيارة كبيرة ومتينة وثابتة لا تقلبت بنا وقتلتنا .
ولكن أخى خبير بالسيارات والذي لا يعرفه عنها
لا يستحق أن يعرفه أحد . والحق أنها كانت سيارة
أصيلة بل هي سيارة وكفى ، ولكن بالي لم يكن في
ذلك الوقت إلى شيء من هذا ، بل إلى ما بقي من
الوقت حتى يصل القطار إلى طنطا أو دمهور ،
وإلى مبلغ الأمل في إدراكه قبل أن يبلغ سيدي جابر
ونأذى إلى صوت أخى يقول : « هل تعلم
ياروكسى أن اسماعيل مهمل (يعني) . . . أموافق
أنت ؟ هذا ما كنت أنتظر . . . ولكنه ينقصك
أن تعلم لماذا . . . أريد أن أسر إليك ياروكسى
بالسبب . . . اسمع إذن ولكن لا تخبره . . . لقد أردت
أن أستعير حقيقته الصغيرة . . . أقول لك الحق
ياروكسى . . . بيني وبينك ياروكسى . . . استعمرها
فعلاً . . . ولكنني وجدت أنه أحمـل أن يضع فيها
المفتاح ولهذا جئت إلى بيت الأخت لعل أجد
فأخذ المفتاح . . . أعرف ما تريد أن تقول فأنتك
ذكي . . . بالطبع لم يكن ينتظر أن يعطيني المفتاح . .
ولكنني كنت سأأخذه على كل حال . . . أوه ! بطريقة
من الطرق . . . من غير أن يشعر بالطبع . . . »

وقد هممت مرات أن أصبح به ولكنني
كبحت نفسي فليس هذا وقت الاختلاف على
الحقائب ، ولكنه غاضني مع ذلك أنه أخذها وهو
يعلم أن فيها أشياء ، فقد كنت أعددتها لرحلة
قصيرة فلما جاء رسول أختي عدت وكان ما كان . .
ونويت أن أغتـم أول فرصة تسنح لاستردادها . .
بطريقة من الطرق . . . كما يقول . . . والبادي أظلم
ولم أكن أطمع أن أدرك القطار في طنطا فلم
أستغرب أن أعرف أنه تركها قبل وصولنا بهـمـر

« رو كسى . . . إنه يسأل عن الأنوار هل هي
قوية ؟ . كأنه لا يعلم . . . لا بأس . . . هل تظن أن
من حقه أن ينتظر جواباً ؟ . . . نعم . . . الجواب
تـمـصـيل حاصل . . . بالطبع . . . الحق معك . . . ثم إنه
أرسل النور أمامه وهو يضيء إلى مسافة أميال . . .
أليس كذلك . . . ؟ ولكن إلى أين بنا ياروكسى . . . ؟
نعم ؟ . . . أقول إن هذه هي الطريقة الأمريكية في
الاستيلاء على السيارات واغتصابها من أصحابها
الشرعيين ؟ . . . إنها كذلك على التحقيق . . .
وإني أراك مصيباً دائماً في ملاحظتك ياروكسى . .
أوه ! . . . تسمون ؟ . . . رو كسى . . . إنه يخطف بنا
الأرض . . . فهل تظن أنهما ارتكبا جريمة ؟ . . . »
وهكذا وهكذا . . .

ولم أكن أستطيع أن أقول له شيئاً لأن عيني
على الطريق . وكان خليل يساعدي فينظر إلى عداد
السرعة ويخبرني بالرقم الذي ترتق إليه ، وينظر في
الساعة كلك فيطمئنني أو يزعمني ، وأخى ماض في
هذره حتى بلغنا بنها . ولم أدخلها بل آثرت أن
أأخذ طريق سيارات النقل لأنه أقصر وإن كان
غير ممد ، واجتنباً للبطء الذي يضطر اليه في
شوارع المدينة . وبعد أن اجتزمنا (الكبرى) الجديد
ثم جسر السكة الحديدية - أو المزلقان كما يسمونه -
أطلقت للسيارة العنان ، فحمل خليل ينظر ويقول :
« مائة . . . مائة وخمسة . . . عشرة . . .
وعشرون . . . وخمس وعشرون . . . إمض
إمض . . . لا شيء . . . هذه دجاجة . . . »

فقال أخى : « أظنها ذهبت إلى جنتها - جنة
الدجاج - قبل الأوان . أتراه سباقاً ياروكسى ؟ »
وبلغت السرعة مائة وثلاثين كيلو ، فلولا أن

ولم نكد نفعل حتى دخل، فركبت - بلاتد كره -
وماذا بهم ؟ وخابيل ورأى ؟ ومشينا خلال
الركبات حتى وجدنا أمي وأختي فاحططت بجانبهما
بلا كلام

ولو كان في رأسي ورأس خليل عقل لزلنا
بهما من القطار وعدنا بالسيارة على مهل ، ولكننا
لم نفكر في شيء حتى كان القطار في طريقه إلى
سيدي جابر ، فأدركنا أننا تعرضنا لغرامة فادحة
لم يكن لها داع ، وكان في الوسع انقاؤها لو عطينا
بأن نخبر المفتش أو أحداً من رجال القطار أننا
راكبون من هنا فقط وسندفع الأجر في القطار .
على أن الثقة بأننا أنجينا القريستين هونت علينا
الحسارة

وقلت لأختي : « هذا زوجك ... البرقية
مريبة فما الرأي الآن ؟ »

ولكنها لم تكن في حال تسمح لها بإبداء رأي .
وأي رأي هناك يمكن أن يشير به أحد ؟ . لقد
ضاعت القرصة الذهبية في دمنهور ، ولو كنا أخرنا
أخي على الأقل لاستطاع أن يبرق إلى بوليس سيدي
جابر بالموضوع ، ولكن لا استمرار السفر في هذه
الحالة معني ، أما الآن ...

على أننا قلنا إن القرصة لم تضع وإن من الممكن
إذا تركنا الاثنين تسيران أمامنا وحدهما وعيوننا
عليهما أن نرى الذي سيتقدم لهما نائباً عن خابيل ،
وقد نستطيع في ذلك الوقت أن نجعل البوليس
يقبض عليه ... على كل حال لم يبق إلا هذا ...

ولكننا لم نجد في سيدي جابر غير الحالين .
ووقفنا بعيداً ووقفت الاثنين تنتظران أن يتقدم
إليهما أحد - رجل أو امرأة - حتى (البوفيه)
لم يكن فيه أحد . فقلنا لعله ينتظر في الشارع ،

دقائق ؛ واحتجنا إلى البترين فضيعنا دقائق أخرى ثم
استأنفنا السير بأقصى سرعة لنموض - سافاً -
الناخير الذي لا بد منه في كفر الزيات . واءتراني
ما يشبه الحمى فلم أعد أبالي كيف أقطع الطريق .
وكنت ربما صادفت مركبة ، أو رجلاً على حمار
أو جمل ، فأمرق ولا أعني نفسي باليمين والשמال . ولم
يكن الطريق بعد كفر الزيات على خير ما يمكن أن
يكون ، ولكني لم أحفل فلك ولم أترفق بالسيارة ؛
وكان أخي يرى هذه السرعة الجنونية - فقد بلغنا
أربعين بعد المائة وأصررنا عليها - فيقول لـكـلـبـه :

« أنظر يا روكسي . . إن الخبيث ينتقم مني
- أعني منا فانك شربكي في كل شيء - لأنني
استمرت حقييته . . من أجلها يريد أن يفجمني في
السيارة . . أي والله يا روكسي . . فتعال نبك على
ما كلفتنا من مال بضيع الآن في هذه السكة
المنحوسة . . ثلثمائة وخمسون جنهما خرجت عنها
من حر مالي . . وماذا بمنيه هو ؟ . يأخذها
بلا استئذان ، وينحني عن مجلسي فيها ، ويردني
إلى الوراء . . هل هذا يليق يا روكسي ؟ »

ولولا أن خليلًا صاح في هذه اللحظة :
« القطار ! القطار ! سنسبقه يا اسماعيل !
سنسبقه بالتأكيد . الحمد لله ! » لضي أخى في
هرائه . وكنا قد قاربنا دمنهور ، فلما بلغنا مدخلها
عاد أخي إلى التردد ، ولكني لم أسمع شيئاً لأن أذني
كانت تطن . ودنونا من المحطة فوقفت وفتحت
الباب وقلت لـخـلـيـل : « إنزل . . بسرعة » فشرع
بفتح الباب من ناحية وأخي يقول : « ألم أقل لك
يا روكسي إنه سباق . . بين السيارة والقطار ؟ »
ولم أسمع بعد ذلك شيئاً لأنني ذهبت أعدو إلى
الرصيف الذي يقف عنده القطار

فأوامنا اليهما أن يخرجنا أمامنا ، فلم يكن حظنا خارج المحطة أحسن من داخلها . ولم تبق فائدة من التفريق فركبنا وهممنا بالمضي إلى الفندق ، ولكن خاطراً خطراً لي فجأة فترأت وذهبت إلى مكتب التلغراف وبعثت برفقة منه

وفي اليوم التالي كننا في مصر

ولكن هذا لم يكن كل شيء . وهنا يحسن أن أدع أخي بتكلم :

« لعله يعنيكم — يريد أختي وأمي — أن تعرفا كيف كانت عودتي البارحة بعد أن تركني هذان المخلوقان . لا فائدة من قولي انتظرت ، فإن هذا القول لا يدل على شيء ، فقد تركني فجأة وذهب بعدو كأنني أجرب ، حتى محرك السيارة لم يمن بأن يوقفه . ستقولون جميعاً إنه كان معذوراً ... فليكن فإن الجدال عبث ، وستسمعون بأشياء أخرى أرجو أن يكون عذره فيها أوضح ... وكان ممي رو كسي كما لا أحتاج أن أقول ، ولا أدري ماذا كنت أصنع لو لم يكن هذا الرفيق ممي ؟ ... لعلني كنت أجن أو يحدث لي شيء من هذا القبيل ... ماعليتنا . هل أقول إن الأمر طال على وأنا قاعد في السيارة ؟ كلا ... وهل أقول إنني كنت ميتاً من الجوع ؟ ... كلا أيضاً ... وأختصر حكاية مملة فأقول : إنني نزلت من السيارة وسرت في الاتجاه الذي رأيتهما بقصدان اليه ، ولم يكن الأمر يحتاج إلى ذلك ، فقد كان كلاهما دائراً كله على القطار وجوب سيقه ، وإن كان فيما عدا ذلك لا معنى له عندي . ولم أجدهما في المحطة كما تعلمون لأنهما شاءا أن يركبا القطار من غير أن يبعثا لي بكلمة ؛ وقد سمعتهما بقولان إنهما أديا أجر الركوب مضاعفاً ، وهذا حسن وإن كان قليلاً ... ولكنه يبرد بعض الغلة . وقد

وصفهما لسكل من في المحطة فظن واحد أنهما هاربان من سجن ، واعتقد ثان أنهما مجنونان خطران ، واقتنعت أنا بأن لا فائدة من البحث ، وأن أبي — رحمه الله — أخطأ حين رماني بهذا المخلوق وزعمه أحمأ ، وأن أي أخطأت أيضاً في ربطنا بهذا المخلوق الثاني الذي أخفوا أمره عني حتى خطف أختي فصار واجبي الآن بعد أن عرفته أن أخفيه أنا عن الناس . ماعليتنا ... فادع هذا التاريخ القديم ... أظنكم ستضحكون حين أقول إنني احتجت أن آكل وأن أطمع رو كسي ... وقد يسركم أن تعلموا أنني أحب أن أنسى فترة هذا الأكل ، وأن أنحوها من تاريخ حياتي الحافل بالتضحيات في سبيل من لا يستحقون شيئاً ... ولكني هكذا دائماً ... كريم مفضل وجزائي من الناس بل ممن يمرحون في إيراد نعمتي الجحود والكفران ... ماعليتنا أيضاً ...

وقلت لرو كسي : « تعال يا صاحبي فإن هذا بلد لا يستحق أن يتشرف بوجودنا فيه ، فلنرجع إلى بيتنا في مصر » وقد كنت أسلمت السيارة إليه وهي سابعة لا شيء بها ويشهد شريكه في الثؤامة أنها أنقذتكم ، ولكني حين أردت أن أدير محركها أبي أن يتحرك ... ولا أطيل . قضيت نصف ساعة في هذا البرد حتى استطعت أن أنفهم بالحركة والمودة إلى دفء البيت

وكانت السيارة كأنما ركبها قبل ألف عقرية ، ولكنني صبرت وقتي عوضاً على الله ! وهذا جزاء من يكون له أخ كهذا ونسيب كهذا .. وأظن أن الفجر بدأ يطالع حينما بلغنا شبرا فتشهدت وتمهات في السير ، وإذا بشرطي يستوقفني فوقفت ، فدار حتى صار إلى جانبي وقال وهو ينقر على الزجاج :

« تفضل ممي إلى السكر كول »

فقلت : « السكر كول ... ؟ »

قال : « نعم ، تفضل أنزل »

فقلت : « ولكن لماذا ؟ ماذا صنعت ؟ »

إني لم أكن مسرعاً ، بل كنت أسير بسرعة حمسة أمتار في اليوم والدبلة »

فقال بالهجة الجافية : « أنزل ولا تحوجني أن أجرك بالقوة »

فقلت لنفسى إن السكر والجدال عبث ؛

ولاشك أني سأجد رجلاً يفهم في مركز البواليس

وذهبت معه ، فقال : « اقمدها » فقمعت حيث

أشار وهم يتركي فتعلقت به وقلت : « ألا تسمع

من فضلك بأن تخبرني لماذا جئت في إلى هنا ؟ »

فهرني بمنف فهديت إلى السكر ممي وروكسي

بين يدي ...

ولم أر أحداً مستعجلاً سوى ... وأخير آجاء

شرطي آخر وجلس إلى مكتب وأخرج أوراقاً

وبدأ يستعمل للكتابة ، وسألني عن اسمي وعنواني

ومولدي ، وعن السيارة ورقها ؛ ثم سألني بحيث :

« ماذا معك فيها ؟ »

فأبسمعت وقد خيل إلى أنه ظنني من مهربي

المخدرات وقلت ببساطة : « ليس ممي - ويروكسي »

فقال : « إيه ؟ » فأت : « يعني الكلب اسمه

روكسي » فقال متهمكاً : « يا حبيبي يا خوي ... كان

عامل لي مع ومالك كلب ... تعملوها وتخيلوا والله »

فلم أدر ماذا أقول له . وأعفاني هو من الكلام

فسألني : « هل معك مفتاح السيارة ؟ »

فناولته المفتاح فنأدي شرطياً وطلب منه أن

يفتحها أمانى ، وأن يحى . بما يجده فيها فلم يجد

إلا الحقيقة ... اضحكوا ... اضحكوا ... لا بأس ...

ستجى . ساعة أثار فيها النفسى ...

فلما جاءوه بالحقيقة ابسمت البسامة عريضة

جداً ونهد مرتاحاً وقل لي : « لاشى . ؟ . هه ؟ .

طيب »

فأبسمت أنا أيضاً وقد صبح عندي أنه يحسبني

من المهربين وأيقنت بقرب الفرج

وشرع يسألني عن الحقيقة فقلت له : إنها

لاخى ، وذكرت اسم الأخ المحترم فأذهشني بأن سألني

هل أنا أعرف بأن الحقيقة لأسماعيل أفندي زفت

وقطران ؟ . فقلت بالطبع أنا معترف . . إنه أخى

فقال : « أخوك ؟ . أوائق أنت أنه أخوك ؟ »

فضحكت وقلت : « بالطبع وائق . . ولكن

ما هي الحكاية ؟ »

فقال : « أين المفتاح ؟ »

قلت : « معه . . لم آخذه منه » وهممت بأن

أقص عليه القصة ، ولكنني رأيت أنها مما لا يصدق ،

فأقصرت . فقال : هل تستطيع أن تثبت شخصيتك ؟

فقلت : « بالطبع . . ماذا تظن . ؟ » ورفعت

يدي في جيبى لأخرج له أوراق السيارة ورخصة

القيادة وغير ذلك مما عسى أن يكون في جيبى ، فسا

راعني إلا أن الجيب خال ليس فيه قصاصة واحدة .

وأظن وجهي فضحني على الرغم من محاولتي أن

أتماسك وأنجبد ، فقد سألني بعد ذلك مباشرة عن

السيارة وإن عى ، فأيقنت أني وقعت وقلت له :

« إسمع . . إنك تطيل بلا داع . . لا بد أن يكون

قد حدث خطأ ، ومن سوء الحظ أني نسيت

الأوراق كلها في البيت ، فإذا سمحت فأرسل ممي

شاويشاً أو عشرة إذا شئت إلى البيت لأجيبك

بكل ما يزيل الشك ويريح ضميرك »

فلم يبال بهذا الاقتراح المعقول وقال : « هل

وطعام رو كسى ؛ ولا أنكر أنى شربت قهوة أيضاً وإن كانت أشبه بمغلى الفول السودانى ، أو بماء الوحل الساخن . ولكن هذا لم يكن ذنب البوليس وأخيراً فى الساعة الثامنة دخل ضابط علينا فنظرت إليه بملادة فقد فترت وبنت ، ولم أعد أبلى مايجرى لى ، ولكنى لم أكدرى وجهه حتى انتفضت واقفاً وصحت به : « حمدى .. الحمد لله .. أين المحقق ؟ »

فاستغرب وسألنى عن الحكاية فقصصتها عليه فضحك ملء شديقه ... مدهش أن يضحك الناس من هذه الفصول الباردة ... والباقي لا يحتاج إلى كلام ... جئت إلى هنا ونمت ساعة أو اثنتين على هذا الكرسي بتيانى ... ولكنه ينقصك يا حضرة الأخ أن تفسر للبوليس مزاحك ... فقد صار الأمر مزاحاً مع البوليس لا مسمى ... »

فلما استطعنا أن نتكلم ونغالب الضحك قالت : « هون عليك ... فانى أعرف ماذا أقول ... ولكنى أرجو أن يكون ما حدث درساً لك » فقال وقى عينيه نظرة خبيثة : « وأنا أرجو أن يكون ما حدث لكم درساً كذلك »

فقال خليل : « ماذا تعنى ؟ » فقال أخى : « أعنى أنكم لو لم تكونوا عمياً لمرقتم أن البرقية ليست لكم ... للجار ... رقم ٢٢٣ وقد تشابه الرقمان على الساعى — الاثنين والثلاثة — واتفق أن اسم الجار خليل أيضاً ، واتفق أنكم عمى لا تبصرون ، ولولا ذلك لقرأتم الرقم واسم الذى أرسلت إليها البرقية ... هذا ما أعنى ... فقوموا كفروا عن سيئاتكم يا جهلة ودعوني أصحك فقد أخذ الله لى بثأرى سلفاً »

ابراهيم عبد القادر المازنى

أنت مصر على دعواك أنك أخو إسماعيل ؟ . » فقلت : « الحقيقة أنى مستعد للتبرؤ منه ، ولكن إلى أن أقبل لا يسمنى أن أنكر أنه أخى » فقال : « إذا كنت أخاه فلماذا يبعث ببرقية كهذه ؟ »

وناولتها فقرأت فيها الحكم على وللرجل العذر لأنه إذا كان إسماعيل هذا أخى فلماذا يطلب من البوليس أن يحجز السيارة رقم كذا وفيها حقيبة صفتها كبت وكيت ؟ ؟ . لا تترض من فضلك ... لقد كانت عبارة البرقية يفهم منها أنك تريد حجز السيارة أيضاً . ولا أنكم أنى لم أجد جواباً لهذا السؤال وأنى استحييت أن أقول إنه مزاح بارد ...

وحررت ماذا أصنع ولم يفتح الله على بحيلة تخرجنى من هذا المأزق الثقيل ، وكان النهار قد طلع ؛ ولكننا ما زلنا فى البكور ولا يلىق أن أزعج الناس فى مثل هذا الوقت ، فعدت إلى اقتراحى أن يبعث مسمى من يشاء إلى البيت فرفض ؛ فسألته عن الأمور من هو عيسى أن يكون من معارفى ، فأنهرنى بملظة ، فساهاهات وسألته عن المعاون أو غيره فلم يزد على أن قال : « بلاش دوشة » فناشدته أن ينظر إلى تيانى وأن يفكر هل هذه ثياب مجرم أو لص ؛ فقال وهو يضحك : « إن بين اللصوص من هم أشد أنافة منك » فوضعت أصبى فى الشق وأسلمت أمسى إلى الله

وختم المحضر على هذا — أى على أنى لص ولا شك ، وأن البوليس حاذق فطن ولا شك . . . واست أوم البوليس فقد كانت كل القرائن ضدى . وأشهد له أنه كان رقيقاً فقد سمح لى بأن أشتري — أعنى أن يبعث من يشتري لى — شيئاً لطعامى

لونا من جنس الحب

للكاتب الإسباني بوسكو إبانيز

بقلم الأستاذ عبد الرحمن صدقي

فيما لا يحصى عديده في
مباريات السيف وصيد
الحمام، كأس الشرف
في سباق السيارات
الأعظم بين باريس
ونابولي، حتى تظهر
غرفة مكتبه يوماً بعد
يوم بظهور حجرة الأكل
لكثرة ما يشاهد الانسان
فيها من أكوام الشرف
مصروفة على المناشد

وبالحق بهـ هذه
الانتصارات في فن
الأمماب والريضة نصيب
من جاء رجل العلم، لأنه
في الآونة الحاضرة مهم
بالطيران، فهو يحلق كل
أسبوع أو ما يقرب من
ذلك؛ وهو يقطب
حاجبيه وعلى وجهه سمات
الساح في الأفكار
وغوامض الأسرار إذا
ما تسكك متسكك في مجلسه
عن مسائل الآلات

ظل أهل باريس
كلهم، ممن يرتادون
مشارب الشاي الراقصة،
أو المشارب غير الراقصة،
حيث يقنع المجتمعون فيها
باعتباب الناس والخوض
في شؤونهم، كل هؤلاء
طلوا يسمرن أسبوعاً
كاملاً ويميدون ويميدون
في موضوع زواج موريس
دلفور، ورث مصانع
دلفور وشركائه (ويبلغ
رأس مالها من الملايين
مائتين وخمسين) بالحسنة،
أوديت مراسك ابنة أختي
علم من أعلام النواب.
ولكن خفت اليوم اسمه
فانه كان قبل هذا مرشحاً
مرتين لرياسة الجمهورية
وليس بالحدث النادر
في الحياة الباريسية زواج
ملك من ملوك الصناعة
بأميرة من أميرات

هذه القصة آية من آيات الكاتب الإسباني
إبانيز، وهو واحد من أفذاذ الكتاب القلائ الذين
يفخر بهم العصر الحاضر، لترقعه عن التبدل الاباحى
اتقاداً لأذواق العامة، ولعلق إحساسه بالحياة،
وصدق تحليله لألوان العواطف الانسانية مهما دقت
فروقها وخفيت مساربها، مع وضوح نظرية
الأشياء، ودقة الملاحظة، والاحاطة بالموضوع من
غير فضول؛ وهذا كله مفرغ في قالب أنيق المعروض
على الأوصاف

وقراء الصحف لا شك ذاكرون أن إبانيز كان
إلى جانب عبقرية القصصية كاتباً سياسياً متميزاً
الحية شديد التمييز. وقد كابد النفي والأشغال
الشاقة والسجن مرات عديدة في سبيل أفكاره؛
ومع هذا فإن بلدته وسقط رأسه «بلسية» ظلت
على عهده وانتخبته للبرلمان ثمان مرات. وقد طاف
العالم ثم استقر أخيراً في باريس حيث انقلب الذي
يلتف حوله كارهو الملكية ودعاة الجمهورية الأسبان
وقضى إبانيز في منفاه عام ١٩٢٨ أى قبيل
إعلان الجمهورية الأسبانية. فلما أن قامت الجمهورية
أعادوا رفاته على بارجة حربية إلى أرض الوطن،
واحتفلوا بدفنها احتفالاً وطنياً رائعاً

وما يتعاقب بهم
وأما هي، فهي عند صواحبها «أوديت»، أوديت
فريدة زمانها؛ وهي عند سائر الناس الآنسة مارسك،
إسم شهير بارد في كل ما ترويه الأخبار عن الاناقة،
في كل المنتديات الساهرة، وفي كل صحف الأزياء

الجمهورية، بل قلما يكون في هذا مؤونة حديث لدى
نصف ساعة؛ إلا أن لهن العروسين مكانة ممتازة؛
أما هو فيتراءى كثيراً في أحلام النساء مثلاً
فيه كل أشكال الاناقة وكل المعارف البشرية: كأس
الشرف في أبهى مسابقات الخيل، وكأس الشرف

وفي أوئل عام ١٩١٤ انبعثت لعبة جديدة وقت قيامها بين العلية الغطاريين من أهل باريس والمواصم الأوربية والأمريكية التي تأتمم بباريس كأنها منها بمثابة ضواحيها وأعمالها ، فكان أهل الالمقة يرون أقدامهم أيرقصوا « التانجو » وفي طليعة هذه الخلائق الممعة في رقص التانجو رقص موريس وأوديت

أما هو فقد اتصل سرّاً بأستاذ من أهالي الأرجنتين ، وآلى على نفسه ألا ترى عيناه النجلاوان أنوار المدينة إلا يوم يحذق هذا العلم الجديد مثلاً حذق غيره من المعلوم . وفي ذات ليلة من الليالي الزاهية قدم موريس ليجني إيجاب القوم ، وهو تحت المصاييح الكهربائية في فندق من فنادق الشانزليزيه يحرك قدميه في حذاءهما اللامع العالي السكب ، ويهز قوامه المهضوم المسبوك المحبوك في سترته المحمكة ، وينفض رأسه الجليل ، وشمره الجمد يرسل إلى أورا. كتلة ضئيلة كطلاء الملك لامة

وأما هي فقد أمارت هذا الإعجاب نفسه في بقعة أخرى من المرقص ؛ وكما يحس السكوكبان قرب كل من الآخر فيثأثران ويتجاذبان ، كذلك يهفو موريس وأوديت كل منهما نحو الآخر ، ويتهاقت عليه ، يحدوها باعث لا يقاوم من انثلاف طبائعهما وتمازج نفسيهما فليس يفرق بينهما مفرق . وما من ذلك الحين يرقصان أحدهما للآخر . وقد أصبحا لا بالقيان الانسجام المنشود بين ذراعي الغير . وكانا لا يخرجان بكلمة على الصمت الحافل بالأسرار أثناء الرقص المقدس ، بل قوة روحهما جماء منصرفة في رصانة وتفكير إلى حركة أقدامهما وإلى تنني أعطافهما في اهتزازات موزونة متوافقة .

وكان مشاهير الخطاطين من ذوي الفكر والابداع في شارع « دي لا بيه » بمتمدون على الآلة مرساك في مسهل الحفلات الكبرى في الحياة الباريسية في رفع شأن ما تلبسه من مبتدعات قرأتهم الناشطة المتوقدة ، فلب قوامها الذي لا يضارعه قوام ليدع الغواني كاسفات من الغيرة متحسرات . هيفاء ، لا يزيد وزنها على الخمسين كيلو إلا قليلاً ؛ لها نحر باع غلبه الحسن المنشود ترسم في إهابه الرفاق عظمتا الترقوة الدقيقةتان وكأنهما قاعدة أنيقة لعمود رقبتهما الممردة النجيلية ، ولوحنا كتفهما مفصلتان للعيان كأنهما جناحان ناجحان ، وسافاها طويلتان مستويتان لا تسكاد تبين لهما ربله ، وهي تمرضهما في ظلمة أبنية ومن دون أن تحشى الغواية والفطنة ، تحت حافة ثوبها الحريري القصير . وخلاصة القول في قوامها أن كساءه من اللحم روعى في توزيعه التفتير ، بحيث لا يربو مقدار اللحم درهم عما يكفي لتأليس المروق والتلطيف الحاد من حنايا الأضالع والأوصال . فهو جسم يمكن نغمته بأنه « هوأى » ، أو بعبارة أخرى هو حجة ملء الفراغ في داخل الثياب اجتناباً لمشها وحدها . وفي أعلى هذا السكيان الحى وجه جميل أطالته ذقن مدنية ، تفتت فيه حلقة صغيرة قرمزية هي ثمةا الدقيق البديع ؛ وتلمح لوزتان كبيرتان هما عيناهما المدحجوان ، وتهدل لنان على الأذنين كأنهما سافلتا محارب من محاربة النيران الأسبان وقد صفقت غداًهم مجتمعة في شكل البرج القائم تشببك فيه الخصل المصطنعة المارية بخصل الغائبة . هي ربة الجلال المصري كما قد يتصورها ويمبدها واضع رسوم الأزياء في أحلامه المبقرية وخياله البديع

تطلى عليه لزوات الخيال والمعارقات في طراز من
الأناث خليط من البيزنطية والفارسية وهو بعد
رييب ميونيخ الألمانية

وكانت الأم دافور متشحة دائماً بالسواد ،
رصينة مبتكرة كمن عرف قيمة هذى الحياة ، وهي
تشهد — من غير أن تبدو عليها بادية — ما تأتيه
هذه الفتاة الوافدة في الزمن الأخير من ضروب
الأهواء والبدوات المبتكرة : مهرجانات شرقية
تقلب المدار الوادعة رأساً على عقب ؛ حفلات شدي
رافضة ، والفتاة في غلال من السكك الرقيق
شفافة ، منطبقة عليها من الضيق كالغمد ، موشاة
بأزهار كبيرة الحجم بارزة الطرز ، تأمر بحاصر
جسمها وهزالها

ولما كان الابن مشغوقاً بأوديت يعيدها ، فقد
اجتهدت الأم أن تلتصق المذرك لسكر أهواء كنهها
الصغيرة وطفرات مزاجها . هي فتاة مسكينة ؛
لقد نشأت من غير أم فعاشرت طليقة كالفلام

— ٢ —

وقمت الحرب ، وكان من بوادر آناها أن
بدت أمارات الرعب في عيني الغائبة سيدة قصر
دافور الجديدة ، فهي متسعة الحدوتين مرتاعة النظرة ،
أيمكن مثل هذا البلاء ؛ وفي الساعة التي يكون فيها
المرء أشد ما يكون لهواً وانبطاً

أما الحسنة فقد لاح عليها أنها كبرت ، وأنها
خرجت من انقباض حياتها وإعراضها عن العالم ،
فاستقرت نظراتها — رصينة بطيئة على الأشخاص
وعلى الأشياء ، كأنها هي تتعرفون من جديد .
وهي في زمانها قد رأت الشيء الكثير ، وبادات
أول ما باديات من كلمات الحب رجل الصناعة دافور

ولقد علما علم اليقين ان حرمة رقصهما أبد الدهر
رهينة بأن يبقيا مدى الحياة شريكين

وهكذا نأما الحب بينهما ؛ وهكذا تم قرانهما .
واستيقظت باريس بأمرها في ذات صباح قبل موعد
يقظتها اليهود بساعتين لتشهد حفلة القران . وكان
زبن الحفلة تشريف عواهل الصناعة أجمعين ، وعدد
لا حصر له من رجال السياسة أصداق عم
المروس . ولم تحاصر أحداً أدنى رتبة فيما يجمع شمل
المروسين من وشائج سبابة وغرام ، كأطيب وأوثق
سارونه الأساطير بين الأنام

وقد سلك موريس مسلك العاشق الحق . فودع
الوداع الذي ليس وراءه عودة ترجى سائر عشيقاته
على اختلافهن ، وكاهن من كاهنات الفنون الرفيعة ؛
التمثيل والغناء والرقص . لقد انتهى عهد الجهالات
وحسبه منذ اليوم أمر أنه الضحية ودراساته العلمية الجديدة
أما هي ، فما برحت تحب المازلة كذى قبل ،
جرباً مع العادة ليس إلا ، ومن غير أن تسمح لأحد
بالاجترار المفتحم . وما ذلك إلا ليزيد حافظ الاحساس
بالخطر استمتاع زوجها بها

وقد جعلوا مقر هوائهم في قصر دافور ، وهو
بناء فخم شيدته أول مول من أصحاب الملايين في الأسرة
على مقربة من حدائق مونسو ، في وسط مساكن
أقرانه الأغنياء الموابين . وتطل واجهة القصر الخلفية
على هذه الحدائق ، وقد اعتكفت الأرملة دافور في
الطابق الأعلى عابقي لها من أثاث البذخ القديم ،
وتحلت عن بقية الدار لابنها وزوجة ابنها لينسني
للمروس أن تشبع بلا عائق أهواءها في زينة البيت
وزخرفته . فاذا هذا المنزل المعاصر بالأنات الأرجواني
المذهب والقاعد الفخمة من طراز نابليون الثالث ،

كل صوب تتمدد حولهن بمن لا يرتدين هذا الزي .
وفي هذه الأثناء يتسللين بحوك ملابس مسرودة من
أشغال الأبرة للجنود ، وهن مراهقات بما يبدو
عليهن من قلة حذق هذه الأشغال ، شأنهن في ذلك
شأن علية العقيلات شرعت خادمتهن في تلقينهن
شيئاً من أشغال المنزل
وتتردد بينهن الأحاديث كلها من هذا القبيل :
- إن زوجي يحارب في الأتراك . والسيو
دلفور في أي الميادين هو ؟

وكان مقر السيو دلفور في إحدى الجهات في
ناحية البلجيكي ؛ وكانت امرأته نقص مغامرته
وهي تدبر حولها لحظ الخيلاء : لقد نوه به مرتين
في النشرة العسكرية ! لقد أنعم عليه بوسام ! لقد
منح شارة !
ولكن كان عدد الأبطال كوابل المطر . فيحز
في نفس أوديت شيء من الامتناع والفضاضة ،
وهي تسمع النساء الأخريات يذكرن عن أزواجهن
مثل ما تذكر
آه ! ألا يسمعه التفوق ؟

وفي ذات يوم ربح قصر دلفور في حدائق
مونسو بنوبات فظيعة من الانفجالات العصبية
والنحيب واصطفاف الأبواب وأزير السيارات
ووفود الأطباء . لقد جرح الملازم دلفور جروحا
خطيرة من انفجار قنبلة ؛ وأرادت أوديت أن تسافر
على الفور لتسهر إلى جانب سرير زوجها ، لكن
هذا مستحيل ! فأسودت الدنيا في ناظرها وودت
لو تموت ، ذلك على حين بقيت الأم ناصبة القامة
شاحبة ، ناصبة العينين ، تطرف بأجفانها وتمعض
شفقتها .

في عام ١٨٧٠ ، أثناء حصار باريس ، ثم شهدت
وهي عروس صبية بأساة الحكم الثوري العاثر في
فترة عمره القصير

ودعى نجلها للسفر إلى الميدان في حين بدأت
امراته تعجب فيه بالرجل الجديد في حلة الضابط
الرسمية المنسجمة عليه أجمل انسجام . والتي ضاعفت
رشاقته الكاملة الرجولة . ولقد أحب أن يلتحق
بالطيران ، إلا أن الطيران كان في طور الطفولة في
أول نشوب الحرب ، فبقى في المدفعية تكبيراً في
القيام بالخدمة

ورغبت أوديت أيضاً في أن تؤدي منعمة
لبلادها . وكانت سواحها غديات رائحات في
المستشفيات . فصحت عزمها بحافز من حوافز
الآريحية على التطوع بمرضة ، لأنها كانت شديدة
الانحباب بالحلة البيضاء ، والبرنس الأزرق ، وعصاية
الرأس الناصعة . فهذا الرداء البسيط الجديد يلائم
جمالها كل الملازمة . وكانت لفرط هيامها بالظهور
في هذا الزي الأخير من الثياب تغادر المرضي أحياناً
كثيرة للطواف في سيارتها متزهة في غاب بولونيا ،
رافلة في الغلالة البيضاء المزدانة بالصليب الأحمر على
الأردان وعلى الصدر

أما الارملة دلفور فكانت تغضي أيامها ولياليها
في المستشفى من غير أن تخلع ثوبها الأسود السرمدي
ولست تخلو الحرب أيضاً من متعها ومباهجها :
فتمة حفلات الشاي المقصورة عليهن معشر النساء
دون غيرهن ، بمزمل من الرجال ومحضرم المضايق ،
إذ يرهقهن بالجمالات الفارغة . وهن جميعهن في
هذه الحفلات متشجعات بالثياب البيض كأنهن
الخادومات في إدارات الحمامات ، ونظرات الحسد من

ووردت الخطابات تلو الخطابات ، وكالهما مكتوبة
بغير خطه ، إلا أنها إملاؤه ، فقلقت الأم واستفهمت
من أصدقاء المائلة الأقدمين ، وهم قوم من ذوى
الرسالة فلاريب يكتمون عنها بمض الخبر :
— إن جروحه بليغة ، ولكن لا خطر عليه .
تشجى ! المهم هو أن يعيش .

وفى ذات صباح هبت أوديت من فراشها ،
وقد أيقظتها بفتة حركة اضطراب غير عادية فى
القصر ؟ فأزاحت ستار إحدى النوافذ ، فوقع
بصرها فى خارج الباب الحديدى على سيارة مقفلة
عليها شارتا الصليب الأحمر ، ثم تبينت بصعوبة من
خلال طيف الزجاج المدود فوق الدرج الخارجى
رهطاً من الناس صاعدين يحملون بين أيديهم شيئاً
ملفوقاً يختاطون له بألف احتياط ، وكأنه قطعة من
الأثاث يخشى عليها التلف ، فقفز قلبها فى صدرها :
موريس !!

وأفرغت عليها بعض الثياب ، وانطلقت من
غير أن تستكمل هندامها راكضة تنحدر فى السلم ،
إلى بهو فى الطابق الأدنى ، وحاول الخدم مذعورين
راجفين منعها

افتحمت القاعة ، وفى الحال عرفت الرأس
الوجع المسنود إلى وسائد الديوان
هذا هو ، مشوها أظفح تشويه ، بخد الوجنتين
بأخايد متراكبة متشابكة من الندوب الزرقاء
الكابية ... ولكنه هو

لم تبق له غير عين واحدة . أما العين الأخرى
فان موضعها تواريه عصابة سوداء بحجم يحجرها
الأجوف ؛ ثم سرحت أوديت طرفها فى صدره ،
صدره المستور تحت قماش سترته الزرقاء ، ستره

ولما عادت أوديت إلى الظهور فى المجتمعات
الخاصة داخلها شيء من الرضى ، فلم يمد اليوم بين
صواحبها من تبحراً على الافتياس بها . لقد جرح
موريس ، وجرحه خطير ، والسكل مشفقون على
ما صار إليه هذا الزوج الفتان الذى ابتلته الحرب
هذا البلاء الشديد .

وهون الانحجاب المسم على أوديت جزعها
لجأت تألف شيئاً فشيئاً فكرة هذه الجروح
الغامضة . أية جروح هى يا ترى ؟ تحيات زوجها
أعرج بظلم ، فى إحدى يديه عصا ويده الأخرى
تنوكاً على ذراعها . ما أمالهما زوجين ! إن المستقبل
ما فتىء بدخر لهما ساعات هناك طويلة . وسوف نراه
وتحبوه السعادة بمحنان الأم الرؤوم ومناعة الحبيبة .

وفى أصيل ذات يوم فى شارع رويال ، وقع
بصرها على ملازم من الرتبة الثانية ، وهو جديافع
يكاد يكون غلاماً ، يسير إلى جنب خطيبته ،
وأحد كى سترته مهتل خا . موريس هو الآخر
فقد ذراعه ؛ هى موقنة بذلك ، وهذا هو السبب
فى أن خطابات المكتوبة على عجل ، الناطقة بسرور
موجع ، هى دائماً إملاؤه وليست بخط يده ، ولكن
ماذا يهم ؟ ستكون هى مسند زوجها ، وستنوب
ذراعها عن ذراعه المفقودة ، فما يشوقها مثل رؤية
طلعته ، والتطلع إلى خيالها فى صفاء عينيه ، والتملى
بنظرة الحلوة المداعبة الساخرة فى لطف . آه !
ما أشد حبها إياه .

وكان صواحبها يتاقينها دائماً مرددات نفس
السؤال : « كيف حال الجريح ؟ » ، وهى تجيب
راسخة اليقين : « فى بحسن مطرد ، وهو قادم قريباً
إلى باريس . »

المائيات الرخوة بترت سواعده المنشعبة ، بازاء مادة
نخامية لا قوام لها لفظتها الحرب . هذا صاحب
الملايين الذى كان شديد الحب للحياة ، أبطل أهد
الدهر على هامش الحياة ! لقد أحدثت بليته فراغا
حوله ، حتى كلبه المحبوب ينن على قيد خطوات منه
يقدم رجلاً ويؤخر أخرى ، كأنما هو نهب دوافع
تداول عليه دراكا ، من ولاء سيده وفزع منه
ولسوف بظل الحال مدى عمره على هذا
النوال . . . آه حبذا الموت ! الموت العاجل ! وعلى
حين نخاة تنحى جمع الخدم . هذا شخص يغشى
القاعة ؛ ولح الجريح المشوه رأساً مجللاً بالشيب
يتقدم بحوء ، وأحس على وجنتيه الخدودتين بالجراح
لمس قد يتمسح بهما ، ويلثم لثمت الواله المعصاة
المسدلة على مقلته الجوفاء ، وأحس رشاش دمع
سخين يبال جيده ، وذراعين تطوقان فى شفت
وحركة عصبية بذنه الناقص التكوين كأنهما
تمللان طفلاً

وتصاعدت أنه :

— أماء :

— ولدى ! ولدى !

ترجمة : عبد الرحمن صدقي

آلام فرتر

للشاعر القياسوف جوتة الألماني

الطبعة الرابعة

ترجمها أحمد حمزة الزيات

وهي قصة عالمية تعد بحق من آثار الفن الخالد

وتحتها ١٥ قرشاً

الضابط القديمة . ولكن هنا ترزلات المرأة وتحاذل
جلدها كمن صدمته مفاجأة قظيمة — وما أشدها
صدمة وأعنفها — فإذا بها قد صرخت ، أن جسمه
الجريح ينتهى هنا ، بغير ذراعين وبغير ساقين .
ما هو إلا جذع أبتى ، بقى بفضل معجزات الجراحة
خرقة ممزقة فى نهايتها رأس حى

وتنم الفم — الأسود من حريق الحم — فى
ضراعة وذلة :

— أوديت ، أوديت :

كأنما يلمس الصفح عما هو رازح تحتها
من بلاد

ولكن كانت أوديت قد وآت محفلة تدفع
من طرفها الخدم المتجمعين أمام الباب ، وانطلقت
على وجهها تركض فى أطباق المنزل العليا لائى
ما تفعل ، مولولة كأشد ما ولوت امرأة فى مأساة
إغريقية ، تصطدم بالأثاث والحيطان ، وتمزق
شعرها المحلول ، وقد جن جنونها من دهشة وفزع
واشمزاز

وهذا المخلوق المشوه المسوخ الخلقة زوجها
وواجب عليها البقاء إلى جانبه طول حياتها :

ولم يزل ينن فى الطابق الأدنى ذلك الصوت
الضارع الموجع مسترسلاً : أوديت ، أوديت !

واغمر رورقت بالدموع عينه الوحيدة . السكى
يهربون ، حتى الخدم يتأملونه من بعيد ويحاول كل
منهم الاختباء وراء زميله وهو متألف على الحرب ،
ومع ذلك بشرتب بمنقه وعلى وجهه سماء مبهمة
من تطالع الفضول وانقباض النفور

وكان القوم يتجنبون له . كأنهم منه بأزاء
كتلة غريبة تماهها الأنفس ، بأزاء أخطبوط من

وجيزة . تعالى يا حبيبتي

جاست « سلام »

سامية بجوار أمها ، وروح

الثورة ما زالت متأججة

في صدرها . فحتمتها

أمها وقبلتها . ثم قالت لها

وهي تحاول الابتسام :

— أريد أن نتفاهم يا حبيبتي .

هل التفاهم حرام ؟ أتشكين في

حبي لك يا « سلام » ورغبتي

في إسعادك ؟

— مطلقاً

— فإذا كنت قد اخترت

« شوقي » زوجاً لك ولأني

وجدته أفضل شاب يليق بك .

إه شاب غني ، ذكي ، حائر لأرفع

الشهادات ، ألا تعلمين أن فتيات كثيرات يتقنن

عليه ، ويتنظرن عودته بفارغ صبر لينصبن له شبا كهن ؟

فأبداً كأنه ...

— لماذا تتركه لمن ؟ لماذا ؟ وهل نجد

أحسن منه ؟

— ومن قال لك إنني أبحث عن زوج ؟

فقطرت إليها أمها نظرة جرع وألم ، وأخذت

يدها وشدّت عليها في تأثر ، وقالت في صوت

مخنوق :

— هذا العناد يا « سلام » ؟ وإلى متى

تحبين عده الحياة المملة ؟ بعيدة عن اجتماعات ،

بعيدة عن وسائل البهجة والمسرّة . أتريدن تحطيم

قلب أمك التي لم يبق لها في الدنيا سواك ؟ أليس

بِخَصِّ سَامِيَة

لِلْأُسْنَادِ مُحَمَّدٍ تَيْمُورَ

— أنتِ استدعيتني

يا أمّاه ؟

— نعم يا « سلام » :

استدعيتك فهلا حررت

لماذا ؟

فبسمت « سلام »

إبتسامة استخفاف وولات :

— مطلقاً

— والسكنى أوكد لك أنك

تعرفين ، ويسوفني منك هذا

التجاهل المصحوب بالازدراء .

لو كنت مكانك لما وسعتني هذه

الدين . يا أمّاه ، ولو كنت الآن

على أحسن زينة وأزكى ملابس

أستعد لمقابلة خطيبي الحبيب

— خطيبي ؟

— لا تثيري غصبي يا « سلام » . ذهبي

واحلمي ملابس الركوب . إنها ملابس زينة لا تليق

لمثل هذه الظروف . ذهبي وربّي شعرك وزيني

نفسك

— والسكنى ذاهبة كما تعلمين لأقوم بزميني

اليومية على ظهر فرسي « مبروك »

— ألا يمكنك أن تتركي زهنتك يوماً واحداً ؟

يوم عودة خطيبك من أوروبا بعد غيبة ستة أعوام !

فلمعت عينا « سلام » ببريق الغضب . وقالت

وهي تضرب قدمها بمصاها الصغيرة :

— لقد كررت على سمعك يا أمّي أنني لا أعرف

لى خطيباً

— تعالى . تعالى اجلسي بجانبى برهة . برهة



قضاها في ربوع أوربا يتعلم في معاهدها ويستمتع في مغانيها . عاد إلى دار الأميرة القديمة حيث قضى ريمانت طفولته وشبابه . عاد إليها ليحيا حياة الاستقرار والعمل المنتج

نزل من السيارة ، ووقف أمام الباب يحدق فيه . ذلك الباب الضخم المرمم ذو النقوش الأثرية . إن يانسي مطلقاً يوم خرج منه منذ ستة أعوام يطلب النجد وكأنه منتش بخمرة لذيدة تلهب دمه . . . لم يحدث تغير يذكر . كل شيء على حاله . فالإبواب كما هو مشرق بإتسامته بحييته في لغته المتعاقبة . والبستاني يهرع إليه ويقبل يده ، ويقدم له زهر العتر ، والحديقة على حلقها مهمة بأشجارها الكثيفة وطرقاتها غير المستوية . . . وأخيراً حجراته ، أجل حجراته كما كانت ، لم يتغير شيء فيها . كأنه تركها بالأمس . إن «تفسير» المعجوز لم تهمل إعداد القلة النظيفة للبحيرة ، والمنشفة الزهراء . . . وطففت عليه ذكريات الماضي الجميل فنظر حوله في غبطة وقال :

— كل شيء على حاله يا «تفسير» ؟ فما أسعدني بكم . وأخذ يتحدث معها : يسألها عن المنزل وأهله وما جرى فيه أثناء غيابه . سألها عن أشخاص كثيرين وأمور شتى . ولكنه نسي شخصاً لم يجر لسانه بذكره . فنظرت إليه «تفسير» نظرة استغراب وذلت :

— ولكنك لم تسألني عنها . . . ؟

— من تقصدين ؟

— هي ياسيدي . هي صديقتك الصغيرة

— يا . . .

— «سلام» ياسيدي

أملى الوحيد في الحياة أن أراك مع زوجك وأطفالك سعيدة هائلة البال ؟ . . . لماذا تريد أن تحرميني هذه الأمنية يا ابنتي ؟

ورفعت يدا ابنتها إلى فمها وقبلتها قبله حنو ورجاء ، واستأنفت قولها :

— لقد تقدم لك أناس كثيرون من أشرف رجال البلد وأرفعهم . فرفضتهم جميعاً ؛ رفضهم بلا سبب . فلم ذلك ؟ وأخيراً يعود «شوقي» ، فريبك ، وهو من حلك ومن دمك ، وقد نشأ وترى معك في بيت واحد ، يعود بعد غيبة طويلة فيجد منك الرقص والاهمال !

ونارت «سلام» بمنظر أمها ، فاحتضنها وقبلتها . وقالت لها في رفق :

— ولكنك يا أمي تتكلمين عن أشياء سابقة لأوانها . فهل خطبتي «شوقي» رسمياً ؟
— رسمياً . . . كلا . ولكن الجميع يعلمون أنه خطيبك . وكلنا نتحدث بذلك منذ كان بيننا — قبل أن يسافر إلى أوربا

فتجهت وجه «سلام» بغتة ولم تحب وحشيت أمها أن تسي إليها من حيث لا تدري . فلاطفتها وقالت :

— لا يسؤلك كلامي يا حبيبتي

وقامت «سلام» تريد الخروج ، فقالت لها أمها :

— لا تطيلي زهتك يا حبيبتي . لا تنسى أنه سيحضر قبل الغداء . . . عليك أن تساعديني في ترتيب المائدة . أما أنا فذهابي إلى المطبخ لعمل الشرابية

وعاد «شوقي» إلى الدار بعد غيبة طويلة

— أوه «سلام» : كيف هي ؟ ألا تزال نحيفة
ضئيلة كالسمكة المقددة :

— السمكة المقددة : ... إنها ملء العين
والخاطر - سمن على عسل ياسيدى :

— أنت تبالغين . ولكن خبرينى : أما زالت
ترتدى ميدعتها الزرقاء البرقشة بيقع الخبر ؟

— ما هذا الكلام ياسيدى ؟ إنك تتحدث
عن الصغيرة «سلام» التى لم تكن تبلغ الرابعة عشرة

بمعد . أما الآن فهي غيرها بالأمس . إنها ترتدى
الفساتين على آخر زى ، وتزين نفسها كمروس ليلة

دُخَانِهَا ...
— وأين هي ؟

— خرجت راكبة فرسها لتتنزه زهرتها
اليومية

— راكبة فرسها ؟ أمر مدهش للغاية :
— هَذَاكَ ياسيدى ! ليس هذا كل شئ .

إنها تعزف على البيانو كأمر العازفات ، وتكلم
الفرنسية كالبلدب ، وتقرأ الجرائد ، وتفهم فى

كل شئ
وسمع فى تلك الآونة صهيل فرس ووقع حوافرها

على أرض الحديقة الصلبة . فهرعت «تفسير» إلى
النافذة ثم صاحت مهللة :

— إنها هي !
وأطل «شوق» من النافذة : وما كادت

عيناه تقعان على «سلام» حتى صاح مدهوشاً :
— أهذا ممكن !

ونزل «شوق» ليستقبلها ، فرآها تترجل
بالقرب من الباب ، فتقدم نحوها ومد يده وهو

يقول :

— هالو «سلام» كيف حالك ؟
فأجابته فى لهجة غادية بلا حماسة :

— الحمد لله . وأنت ؟
ودُهِش «شوق» من لهجتها ، ولكن راعته

نبرات صوتها . وأخذ يتأملها طويلاً ، فإذا هي فى
قوام ممسوق وحركات رشيقة وشمائل حلوة ، فيها

طراوة وجاذبية على الرغم مما يبدو عليها من إهمال
وناولات «سلام» اللجام للسائس وأصدرت

له أوامرها ، ثم سارت متجهة ناحية السلام
و«شوق» سائر بجانبها صامتاً ، وقد أحسن على

الغور بشئ ، يخبره ويتمبه فيها . وأخيراً تكلم فقال :

— يتخيل إلى أن كل شئ على حاله فى هذا
النزل لم يتغير ، سوى أمر واحد هو ...

وظهرت الست «امثال» والدة «سلام»
وكانت على أحسن هيئة ، مرتدية فستاناً منقوشاً

منشئ كأنه الورق المقوى . وشعرها يلمع من تأثير
المكواة الحامية . تقدمت نحو «شوق» فى بهال .

وبسطت ذراعيها ، وقالت فى صوت مهدج :
— أهلاً وسهلاً بابنتنا العزيز . أهلاً وسهلاً بابنتنا

الحبيب . إن يوم عودتك ليوم عيد لنا عظيم :
وطوقته بذراعيها وقبلت رأسه . وسمته يقول :

— إن سرورى برؤيتكم لا يقدر
ومسحت الست «امثال» عينها الدامعتين

وقالت :
— لقد كنت أسأل عنك دائماً ولا يهدأ لى

بال حتى أطمئن عليك
وتأملته طويلاً وقالت :

— ماشاء الله ! ماشاء الله ! ربنا يحمى لك
شبابك يا ابنى

ووقع بصره على «سلام» فكفهر وجهها ،
وقالت لها في لهجة نائرة مكتومة :
— أبهذه الهيئة تقابلين زوارك ؟
ثم التفتت سريعا إلى «شوق» وقالت :
— لم تقصد «سلام» أن تظهر أمامك هكذا .
لقد جمحت بها القميص ونالمتها فتأخرت في العودة
على غير رغبة منها ، فلم تستطع أن تغير ملابسها ...
فقالت «سلام» في هدوء وهي تداعب
عيناها :
— كلا يا أمي ، لم تجمع بي قميص ولم تضللي .
فقطرت إنيها أمها نظرة ملهبة ولم تستكمل . وقال
«شوق» وهو يبتسم :
— إن ركوب الجياد رياضة جميلة . وإن أحوالها

اختفت «سلام» بعد هذه المكالمة ، ولم تظهر
إلا وقت الغداء . وكانت ترتدي فستانا عاديا غاية
في السذاجة ، ولم تكن زينتها . فثار ثائرة أمها ،
ولسكتها لم تستطع أن تستكمل . والتفت «شوق»
نحو «سلام» وفي لهجة مخصصة :
— لقد أحسنت اختيار هذا الفستان
يا «سلام» . إن لونه ونفسيه يشهدان بدوق سليم
وأجبت في لهجة مؤدية عليها مسحة الجفاء :
— أشكرك
وقالت «تفسير» العجوز :
— إنه من تفصيلها يا سيدتي . ألا تعلم أن
«سلام» خياطة ماهرة ؟
فقال :
— لقد كانت وهي صغيرة تجيد تفصيل
البلاط لقططها . وطالما خلطت لي أزرارا ساقطة

ورفعت فتوقا في ملابسها ،
ونظر إليها ، فابتسمت ابتسامة رسمية . وقالت
تفسير :
— إنها كانت تفصل وتخييط جميع (مرائرها)
فقال شوق :
— هذا صحيح . وعلى ذكر المرائيل أذكرك
كيف أتت مرة الخبر على واحدة وأتلفتها
تماما ...
ألا تذكرون ذلك يا «سلام» ؟
وقالت في لهجة الرسمية :
لا أذكر
كان ذلك قبل سفرى بضعة أيام ، عندما
جئت لطلبين مساعدتي في حل بعض المسائل
الحسابية : ولم أنجب . ثم حوت رأسها ناحية الباب
وقالت للخدمة :
منى تخبرين الأكل يا سيدي ؟

بدأ الأكل وانتهى ، و «سلام» لم تفتح فمها
إلا لتجيب بنعم أو لا ، أو غير ذلك من الكلمات
الرسمية ، وكان كل مصحوبا بابتسامة مقتضية
أو بشرة مقتضية . وكانت أمها تغلي كالرجل ،
وطالما رمتها بنظرة تأنيب حادة أو عتاب مر .
فما «تفسير» . فقد باتت بفشل مروّع في
محاولتها إسعاد «سلام» أو تخريفها على الكلام .
وقد أنقذ «شوق» الموقف بحدیته السلي على سفره
وحياته في أوروبا وما اعتزم أن يفعله الآن
وترك الجميع حجرة المائدة . وذهب «شوق»
إلى الشرفة ليدخن سيجارة : وانتهى ناحية في
ركن بعيد ، وأخذ يفكر في مر عليه الساعة من

وعجب « شوق » من أمر نفسه . إن اهتمامه بهذه الفتاة يزداد يوماً بعد يوم . لقد عرف مواعيدها فهو يراقبها ويستمتع برآها ويحديها القصير البتور كلما استطاع إلى ذلك سبيلاً . وهو يحوار الباب كلما خرجت للركوب وكلما عادت . وهو تحت نافذة حجرتها يصي في شوق وحنين لأنغام البيان التي تعزفها . وهو في الحديقة وقت نزولها إليها عصرًا لتجتمع الزهور . يسير جيئة وذهاباً في المشى الكبير وفي يده كتاب مطبق . ويبادلها التحية من بعيد أو من قريب . وكان أحب الأوقات إليه أن يذهب إلى محبة يطلي على شرفة حجرتها حيث كانت تتمدد على مقعدها الطويل بعد خروجها من الحمام تحف في الشمس شعرها الأسود الطويل ، وقد ماها العازيتان الشريتان بحمرة فائسة للزمان في الضوء القوي . فكان يعجبه هذا المنظر الرائع ويستهي أن يشبع عينيه منه طيلة العمر .

وكانت « سلام » تعيش في ملكة خاصة بها هي نفسها . لا أقرب ولا أصدقاء يزورها أو يزورونها . أحب الأشياء إليها زهرة على ظهر فرسها في الأماكن الطائفة المسيجة فيطائفاً كانت أرملاً ، أو كتاب تقضى الساعات تستمع إليه صامتة ، أو أغان « البيان » تقضى إليه ويفضي إليها بشكايات طوال . . .

هذا العدم الذي تعيش فيه « سلام » والذي يترامى للناس نيقاً مملولاً أخذ يتكشف لشوق عن ديتا واسمة ترخز بالكناز ؟ ولكنها ظلت دنيا بعيدة المنال عنه .

وكره « شوق » هذا انغموس الغريب القائم بينه وبين « سلام » . فاستولت عليه فكرة جريئة اعترزم تنفيذها بهما بكلفه الأمر .

ترى يوماً إلى الحديقة وكن للفتاة يوماً بعد قليل

مشاهد . وهو حائر لا يستطيع لها تفسيراً . وبينما كان على هذه الحال رأى « سلام » تدخل الشرفة . وما كادت عينها تقعان عليه حتى توقفت عن السير ونابت للعودة وهي تقول :

لا مؤاخذه .

وسار إليها « شوق » وقادها إلى الطنف وقل لها في عتاب :

أترعجك مرآى إلى هذا الحد ؟

أنت بلا شك متعب وتطالب الخلوة تستريح .

الحمد لله . هذه أول جملة طويلة اسمها منك منذ حضورى .

ماذا تعنى ؟

أذكرين كيف كانت « سلام » الصغيرة عملاً المنزل كله بكلامها ونحيبها ؟

فبانت في إهمال وقالت :

— إن « سلام » الصغيرة قد ماتت .

ولكنها تعود ليلاً أبهى وأعظم مما كانت . وأمسك يدها يداعبها فسحبها منه وخرجت .

و « شوق » ينظر إليها في حيرة

ومضى أسبوعان « وسلام » لم تغير مسلكها نحو « شوق » كما أنها لم تبدل شيئاً من حياتها التي اعتادت أن تحياها . فلم تكن تطيل وقوفها معه .

بل تقتصر على السلام وتبادل الكلمات القليلة . وكان يحس بأنها تتجنب مرآة بقدر المستطاع ، مع محافظتها على الظاهر في أدب ولباقة . ولم تستطع

أبداً بعينها تارة وتويخها تارة أخرى أن تحملها على تغيير مسلكها . فركبتها وشأنها خشية أن تسود العاقبة .

تسود العاقبة .

تسود العاقبة .

— ألم تدركي شيئاً من أمرى يا «سلام» ؟
— ألم تكتشفي شيئاً مما يضطرم في قلبي نحوك ؟ فلم
تجيب . وكانت تنظر أمامها ولا تتحرك .
فقال :

— لماذا لا تجيبين ؟

وأراد أن ينال يدها ، فأبمدتها عنه وهي تقول
في اصرار :

— دعنى واخرج . قلت لك دعنى واخرج !

فصمت برهة وهو متعجب متحير ، ثم قال :

— ألى هذا الحد تكرهينى يا سلام ؟

— أجل . أكرهك . أكرهك

— ولماذا تكرهينى ؟

— لأنك أنانى ، بطال ، قلبك من حجر ...

أتذكر ليلة سفرك ؟

— اذكرها تكلم بعيد

— أما أنا فأذكر حوادثها كأنها حدثت

أمس . إن مشاهدتها محفورة في ذاكرتى

وصمت برهة تستعيد ذكريات الماضى ، ثم

قالت فى لهجة أقل حدة من ذى قبل :

— ... كنت مشغولاً بترتيب أشتاتك .

تروح وتجي . وأنت تصفر مقتبطاً ، وكنت أتيك

صامتة وأنظر إليك فى تحسر . فالتفت نحوى بفتنة

وقلت فى حدة : « أجلسى هنا ولا تبعمينى » .

فجلست وأنا لا أفهم سبب حدتك ، وأحاسب

نفسى فيما يكون قد بدر منها فكان سيباً فى

غضبك ... كانت عيناى لا تفارقاك وأنت تروح

وتجي . مشغولاً دائماً بأشتاتك وحقايبك ، أسمع

صفيرك ذا الروى الواحد وأنا صامتة . وطالت

جلستى . وأوشكت أن تغفل الحقايب ، فشعرت

جاءت وأخذت تقطف الزهور . وكان المكان خالياً
بغمرة الصمت . وخرج « شوق » من مخبئه ،
وانسل إليها من الخلف فأمسك رأسها وأداره ناحيته
بسرعة ، وطبع على فمها قبلة عميقة حارة . ثم
تركها ...

فوقفت الفتاة برهة أمامه مصمومة لا تتحرك
ولا تتكلم . ثم احمرت بفتنة وجهها واحتقنت عيناها
وقالت وهي ترتعش :

— أبحرؤ على ذلك ؟

وتهدج صوتها وانحبس . ثم رآها ترفع يدها
فى وجهه . ولكنها أنزلتها ، واستدارت بسرعة
وجرت صوب المنزل . ووقف « شوق » يراقبها
حتى اختفت . لقد رأى عينيها تلعبان بوميض
غريب لم يره من قبل . وجرى خلفها حتى وصل
إلى حجرتها ، فوقف بجوار الباب يستمع .
فوجدتها قد ألقت بنفسها على السرير واندفعت تبكى
فى شدة وحرارة ؛ فصبر عليها حتى انتهت من
البكاء ، ثم دخل الحجرة فى خطوات بطيئة ، فرآها
جالسة على السرير تحفف بقايا دموعها . وما إن
وقع بصرها عليه حتى أشارت له إلى الباب وقالت
فى حدة :

— اخرج !

فتقدم نحوها وقال فى هدوء :

— ألا أستطيع أن أعلم سبب هذا الخصام ؟
فصاحت :

— خصام ؟ : أى خصام ! ؟ ...

— خصام أو جفاء . سمع كما تشائين

وجلس على مقعد بالقرب من السرير ، وقال
فى حنو وإخلاص وهو يحدق فيها تحديقاً عميقاً :

أوابتسامة ، تحمل المعنى الذى أطمع فيه .. ولكن لم يلفظ لسانك بتلك الكلمة ، ولم تبد منك هذه الإشارة ... وفي يوم رحيلك ذهبت إلى اليهو مبكرة واختبأت خلف إحدى الستائر ، وانتظرت هناك طويلاً ، وأنا أرتجف وقلبي يدق بشدة ... ورأيتك أخيراً وحولك أهل المنزل تودعهم ويودعونك ، وتذكر اسمهم اسماً اسماً ، ولم أسمعك تسأل عنى أو على الأقل تبحث بى بحثيتك . وخرجت وأنت متهلل الوجه . تصبر بذلك اللحن ذى الروى الواحد ؛ وخرج الجميع يتبعونك إلى الحديقة ، وأقفوا الباب ، فلم يعد فى اليهو سواى . فتركت مخبئى وهرولت إلى حجرة الفرش ، وجبست نفسى فيها طول اليوم ، أذرف الدمع صامتة ... من ذلك اليوم كرهتك وكرهت « الرجل » فى شخصك . لقد كنت وقتئذ صغيرة حاهلة غيبية ، يحق لك أن تقول ذلك . ولكن كان لى قلب ، وكانت لى أحلام . قدست ذلك القاب ، وحطمت هذه الأحلام . أما أنت فقد تجمع فيك كل شئ : ذكاء ، وعقل ، وعزيمة . ولكن كان يعوزك شئ ، واحد وهو فى نظرى كل شئ ... فتمتم شوقى :

— ... ولكن كان ذلك فيما مضى ، أما اليوم ...

— لقد دبت الأوان ، إن الهاوية التى بيننا سحيقة جداً ، ولا يمكن أن نتخطاها

وصمتت ، و « شوق » ينظر إليها ولا يتكلم ، وطال صمتها . وأخيراً قام « شوق » وتناول يدها فى سكور ، وطبع عليها قبلة عميقة ، ثم خرج بلا كلام !

بقفزة بدافع قوى يدفعنى نحوك . فقفزت وتعلقت بك ، وقلت لك فى سداجة بريئة : « لماذا لا تأخذنى معك ؟ »

فانظرت إلى فى سخرية وغيظ ، ثم دفعتنى بيدك ، وخرجت من الحجرة كالزوبعة . فى تلك اللحظة شعرت لأول مرة بأن غشاوة كانت تغشى عيني وأنا أخذت تنفث . فخرجت أجرى إلى حجرة الفرش وجاست القرفصاء فى دكن من أركانها ، ولم يخفنى الظلام ؛ بل أنست به . لأنى كنت فى حاجة إلى الوحدة والتفكير . وأخذت أعرض حياتى معك على ضوء جديد ، فوجدتها غريبة جداً ... أجل كانت غريبة جداً ، كنت أعتقد أنى لا أستطيع أن أعيش بدونك . كنت أنزل إلى الحديقة وانتظر عودتك من المدرسة . أعد الدقائق واللحظات ، ثم أكاد ألحك حتى أهرع إليك مهللة باشة فتستقبلنى فى جفاء ، وتبقى على تحيتك كما يلقى السيد تحيته على خادمه . ثم تعطبنى بحفظتك المكتظة بالكتب فأحملها لك راضية إلى حجرتك ... وكنت أحب أن أحادثك لأسليك فتصدى وتשמرنى بأن حديثى سخييف لا يليق أن يسمعه شخص مثلك . وإذا حدثتنى لحديثك دائماً عن شخصك وعن مشروعاتك وعن النجاح الذى ينتظرك ... دائماً عن نفسك ، دائماً ... وكنت أصنى إليك فى اهتمام أوشغف ، ولا أمل حديثك . وأتصورك وقد غدوت عظيماً من العظماء ، كقائد منتصر أو كملك كبير . ينظر الناس إليك نظرة الخشوع والاكبار ، وأنظر إليك أنا نظرة العبادة . وكنت أنتظر منك — فى ذلك الوقت — بالرغم من ذلك ، شيئاً ، شيئاً واحداً . كلمة ، أو إشارة ،

ومضت الأيام ولا حظ الناس على « شوق »
تغيراً كبيراً : لقد قلّ كلامه ، وغاضت ابتسامته ،
وكثر تفكيره ، وآثر الوحدة في حجرته أو في
ركن ناء مخنف في الحديقة ، يقضي وقته يفكر في
كآبة . وكان يتجنب جهد إمكانه مقابلة « سلام » ،
فاذا اضطر إلى لقائها سلم عليها في أدب ، ولم يطل
وقفته . أما هي فقد عجبت وازدادت انطواء على
نفسها . وكانت عينها الواسعتان السوداوان
قد أخذتا في الذبول وانطبعت عليهما آثار البكاء ،
تنطقان بحيرة وقلق ويأس دفين .
وفي ذات يوم من الأيام كان « شوق » في
حجرته يرتب أشياءه في حقائبه ، تساعد « تسفير »
العجوز . وكان يعمل صامتاً ، ولا يجيب على أسئلة
« تسفير » إلا في اقتضاب ، والمرأة حائرة حزينة .
وسمعا شوق يقول :

— وإلى أين تسافر يا سيدي ؟

— خارج القطر

— أين ؟ ...

— لا أدري !

— ولماذا عدت إلينا إذن ؟

— العلم عند الله

... وفي الصباح المبكر نأهب المنزل لوداع
« شوق » ، وخرج الفتى إلى البهو وهو يحمل
معطفه على يده . كان يسير متمهلاً ، ويسلم على من
حوله في وداعة عليها مسحة الكآبة . وقبل أن
يتخطى الباب وقف والتفت حوله يؤمل أن يرى
شخصاً معيناً بين الحاضرين ، فلم يجده ، ووقع
بصره فجأة على إحدى الستائر وكانت نهتز ، فأخذ
يحدق فيها وقلبه يخفق أهو الهواء يحرّكها أم هوشى .
آخر ... ؟ وطالت وقفته كما طال تحديقه في
الستارة . وقد تتابع خفقان قلبه ... ولكن
الستارة سكنت ولم تعد تتحرك ... خوّل وجهه
نحو الباب وهو يوسع الخطى ما

محمود نمر

أطبركا كتاب :

الشيخ عفا الله

وقصص أخرى

تأليف الأستاذ محمود نمر

بطلب من جميع المكاتب الشهيرة وبالأخص من مكاتب القاهرة الآتية : النهضة بشارع
المدابع رقم ١٥ . الأجلو بشارع قصر النيل رقم ٣٣ . الوفد بشارع الفلكي رقم ٥٣ . دار النشر
بشارع عابدين بجوار سينما رويال . وتضمن النسخة خمسة قروش
كذلك أطبركا :

نشوء القصة وتطورها

تضمن النسخة قرش صاع واحد

الينورا

للكاتب الأمريكي إدجار آلان پو

بقلم الأستاذ محمود الخفيف

أقد أحدثت من
قوم أخص صفاتهم الخيال
المشوب والعاطفة الملتهبة،
ونقدد على الناس بالمجنون،
ولكن الناس لم يصلوا
بعد إلى رأى فى الجنون،
نم إهم لم يستطيعوا أن

يقررؤا ما إذا كان الجنون هو
الذكاء فى نسقه الأعلى أم إنه
ليس من الذكاء فى شىء، لم
يستطيعوا أن يقطعوا رأى فى
القضية الآتية :

أليست كثرة أفكارنا
التميزة بالسمو، بل وجميع
ما يتصف منها بالنضوج والعمق،
إنما هى صادرة عن مرض
فكرى أو حال غريبة من حالات



العهد الثانى من وجودى.
وعلى ذلك فإذا حدثتك
عن شىء من عهدي
الأول فصدقه؛ أما عن
العهد الثانى فأنت مخير
بين أن تقابل ما أحدثتك
به عنه بما يستحق من
الثقة، أو أن ترفضه رفضاً تاماً؛

كانت تلك التى أحببتها فى
صدر شبابى والتى أتلو عليك
من ذكريات غرامى بها ما أتلو
فى هدوء ووضوح، الابنة
الوحيدة لخالتى الوحيدة التى
ودعت هذا العالم من زمن
بعيد. وكانت ابنة خالتى هذه
تدعى ألينورا؛ ولقد عشنا
متلازمين فى واد كثرت ألوان

زرعه، سمينا « وادى الألوان »، وما كانت
تستطيع قدم غريبة أن تهتدى إلى مسالك هذا
الوادى؛ ذلك لأنه كان يقع على ربوة عالية تحيط
بها شعاب شاهقة كثيراً ما تحجب الشمس عن
عدد من بقاعه. وفضلاً عن ذلك لم يكن ممراً لأحد
حتى تشق الأقدام طريقاً فيه؛ وكثيراً ما كنا
نضطر ونحن عائدان إلى منزلنا أن نفصح طريقنا
بأيدينا بين الأغصان المشتبكة فى كثير من المشقة،
كما كنا نطأ بأقدامنا آلاف الزهرات فننفضى على
الكثير من معانم الجمال فى هذا الوادى... هكذا
عشنا وحيدين سعيدين لا نعرف شيئاً عن الحياة
وراء وادينا الجميل، أنا وخالتى وألينورا

العقل تسمو وتعظم على حساب غيرها من ملكات
التفكير؟ وإن هؤلاء الذين يحملون فى النهار خليقون
أن يصلوا إلى أشياء تنيب عن لا يحملون إلا فى
الليل؛ ففى رؤاهم الشاحبة تراءى لهم لمع من
الخلود، حتى إذا ما استيقظوا سرت فى أجسامهم
النسوة أن كانوا على حافة البحر الأكبر؛

وعلى هذا أقول إى مجنون؛ أو على الأقل أسلم
أن هناك ناحيتين فى وجودى الفكرى تتميز
إحداهما من الأخرى؛ فأولاهما ناحية البصيرة التى
لا تقبل الجدل، وتتصل بذكرىات العهد الأول
من حياتى، وأخرها ناحية الشك والتموض،
وتتصل بالحاضر كما تتصل من الذكريات بما يكون

الحال خمسة عشر ربيعاً قبل أن يعرف الحب طريقه إلى قلبينا ، إلى أن كنا ذات مساء جالسين تحت هاتيك الأشجار ، وهناك تماقنا ونظرنا إلى خيالينا



في « نهر السكون » . ولم تنفرج شفقتنا عن كلمة أثناء هذا المناق ، وظلمنا صامتين بقية النهار إلا عبارات مضطربة حائرة عما كنا ننوي أن نفعله في الغد . وكأنا أخرجنا من النهر قوة خفية أشعلت في روحنا جذوة آباءنا الأولين ؛ قلقنا أحسنا أن حدة العاطفة التي امتاز بها جنسنا على مر القرون مسفوعة بما عرفوا به أيضاً من قوة الخيال قد دب ديبها في نفسنا ؛ وسرعان ما بث ذلك في « وادي الألوان » روحاً جديدة .

رأينا يد التغيير تمتد إلى كل شيء هناك . فقد انبثقت زهرات بيضاء ناصعة في شكل النجوم على أعصان لم يكن يزينا زهر من قبل . وازدادت نظرة البسط الخضراء في أعيننا ، وكانت إذا

في هذا الوادي الحبيب يجري نهر ضيق عميق قد انحدر إليه من منبعه فوق هاتيك الجبال ؛ وكان لهذا النهر الجميل ريق غريب أشد لمعانا من كل شيء إلا عيني أليورا ؛ وكان كثير المنعطفات ، إلا أنه كان يجري سائماً كنا وادع ، يشمر المرء على ضفتيه عيل قوى إلى السكينة والهدوء ؛ ومن أجل ذلك سمينا « نهر السكون » . وكانت تمتد على ضفتي هذا النهر ، وعلى ضفاف الغدران التي تنساب إليه بسط وثيرة من العشب النضير ، سالت في نواحيها الألوان التي تملأ الجو بعبرها الفياح ، فمن زهرات صفراء فاقعة وساطمة ، إلى زهرات بيضاء يستوقف البصر بياضها ، إلى قرنفلات حمراء ملتبهة ، إلى ورود قرمزية رقيقة ، إلى محاجر بنفسجية باسمية ، إلى غير هذه وتلك من مؤلف الزهر وشيتته ، مما يردان به الوادي ويبلغ به حداً بعيداً من الجمال العميق ، ذلك الجمال الذي كان يتحدث إلى قلبينا في صوت جهوري عن الحب وعن عظمة الله الخالق الباري المصور .

وكانت تتناثر في أنحاء وادينا أشجار باسقات يحدها المرء هنا وهناك في بقاع من العشب الأخضر شبيهة بما يراه النائم من الجنات ، وكانت تجمع جدوعها بين سواد الأبنوس وبياض الفضة ، وكانت ناعمة ، ناعمة تفوق كل شيء في نعومتها إلا خدى أليورا . ولولا ما كانت تراه العين في ذراها من الأوراق لأوحى إلى المرء خياله بأنها مجموعة من ثعابين سوريا الهائلة ، تؤدي في تمايلها واجب الخضوع إلى القوة المسيطرة عليها وهي الشمس ؛

في هذا الوادي الساحر كنت أتجول كل يوم أنا وأليورا ، ويدها في يدي ، وقصينا على هذه

أقد أحست أن أصبع النون يحس قلبها ، وأنها
كـبعض الزهرات الغضة في الوادى ما خلقت نامة
الجمال ألا لتتوت ! ولكن الرعب الذى يبعثه القبر
كان يتراعى لها فى فكرة كشفت لى عنها ذات
مساء وقت الضلّ على ضفة « نهر السكون » . كان
يرجعها أن تفكر أنى حيناً أوارى جمالها فى « وادى
الألوان » لا بد أن أنصرف عن هذا المكان الجميل .
ومن ثم فلا بد أن يتصرف حبي الذى أمتعها إياه
الآن فى هيبه وشدة إلى فتاة غيرها ممن يعشرون
خارج الوادى ، إلى فتاة عادية ممن يصادفهن البراء
كل يوم فى هذه الدنيا .

هنالك أقيت نفسى فى لهفة وسرعة على قدى
أينورا وفهت أمامها بقسم أشهدت الله عليه أنى
لن أتزوج بعدها أية فتاة من بنات الأرض ، وأنى
لن أظهر ما عشت ما يشعر بتعافى عن ذكرها
العزيرة ، أو ذكرى حبها الصادق القوى الذى
عمرت قلبى به وجعلنى أعرف فى ظله نعيم الحياة ؛
ثم أتجهت بعبرى ثانية إلى السماء وأشهدت على قولى
الله المسيطر على ملكوت السموات والأرض . وإن
اللعنة التى ربيت أن يزلها على إن أنا حننت فى
عيني . وصورة العذاب التى قبلت أن يحل بى ،
ليبعثنى فى الأفتدة من الرعب والفرع ما لا أسمع
معهما بتفصيل فى هذا المقام . ثم نظرت إلى عيني
أينورا اللامعتين . قرأت ريقهما يشتم مع كنانى ،
ثم رأيتها تنفس الصعداء كما لو أنها ألفت عن
صدرها عبثاً كاد يرهقها . ولم تلبث بعد ذلك أن
أخذتها رعدة شديدة وتساقت دمعها السخين . ولكنها
قبلت عيني وصدقته دعواى . وايت شعري ماهى ؟
ألم تكن طفلة غريبة ؟ يا لها من فتاة بريئة ! لقد

انطفأت الزهرات البيض لا تلبث أن تحل محلهن
عشرات من الزهرات الحمر النشتملة ؛ وفضلاً عن
ذلك فقد دبت الحياة فى مسالك الوادى ، فلقد رأينا
الطاووس فى موشيته العبقرية يختال فى حاشية من
الطيور الجميلة ما كانت تقع عليها الأعين من قبل .
ورأينا ماء النهر يخر بالسمك الفضى اللون ، وقد
انمست منه خبز حلو ما تزال تعلو نغماته حتى تنتهى
إلى هدهدة جميلة . أكثر قداسة من أنغام قيثارة
« أولوس » ، وأحلى عناء من كل صوت إلا صوت
أينورا . وإذا رفعنا أبصارنا إلى السماء رأينا قوس
الغمام الذى كنا نراه من قبل عظيم البعد ، قد اقترب
منا حتى ارتكز من طرفه على قمم الشمام المحيطة بنا
وظلمتنا ألوانه الجميلة وحوات ما كان يكتمف الجبال
من كآبة قبيضة إلى رواء بارع . وصرنا حياله نشعر
كما لو كان يحجزنا إلى الأبد فى بقعة من الجبال والعظمة
كان جمال أينورا جمالا ملائكياً ؛ ولكنها
كانت فتاة ساذجة بريئة . فلم يتخذ ذلك الحب
الذى أيقظ قلبها من الخديعة حجاباً يخفى قوته
ويسر توقيده . تبينت ذلك فى خلال حديثنا بين
الأزهار فى « وادى الألوان » ، حينما كانت تشير
إلى ما طرأ على الوادى من تغيير .

وأخيراً ، حدث أن أفضى بنا الحديث ذات
يوم إلى الخاتمة المحزنة التى لا بد أن يصير إليها أهل
الفناء . وكنا نحس دموعنا أثناء ذلك الحديث ؛
ومنذ ذلك اليوم رأيتها تعاود الكلام فى هذا
الموضوع . وصارت تدخله فى جميع أحاديثنا ، على
نحو ما تراه فى أغلى شاعر شيراز من تكرار الصور
فى كل عبارة يكسبها شكلاً أخذاً من الايضاح
والبيان .

الندى . واختفت الحياة من مسالك الوادى ، فلم
نعد نرى الطاووس فى زاهى ألوانه ، اللهم إلا فى
أويقات كانت تأخذه العين فيها كاسفاً حزيناً راحلا
عن الوادى إلى قمم التلال تتبعه جماعات الطير
اللواتى أتبن معه قبل ذلك . واختفت من مجرى
نهرنا تلك السمكات الذهبية الفضية التى كانت
ترينه من قبل ، وأخذ يخفت ذلك الحرير الحلو الذى
كانت تفوق غماغمه وهدهده أغانيه من قبل قيثاره
« أولوس » سحراً ، والذى كان صوته أكر قداسة
من كل صوت إلا صوت ألينورا ؛ أخذ يخفت ذلك
الحرير حتى احتبس وعاد النهر إلى سالف سكونه .
وذاب قوس الغمام ، وتلاشت فى السموات ألوانه
البهيجة التى طالما ظللتنا فى هذا الوادى

ولكن ألينورا صدقت وعدها ؛ فلطالما أسمت
حفيف رھط الملائكة ؛ ولطالما استنشقت العبير
المقدس فى أرجاء الوادى . وفى ساعات تأملاتى حينما
كانت تتوانى نبضات قلبى ، كنت أتبين فى هسيس
الرياح التى تمس جبينى تنهداتها التى وعدتني ؛ كما
كنت أتبين فى كثير من الأحيان عصفمة تتناوح
بها ریح النساء . وحدث ذات مرة ... آه ولكنها
مرة واحدة ؛ حدث أن أفقت من نومة عميقة
كأنها الموت ، على ضغط شفتين علويتين كانتا
تلاصقان شفتي ؛

ولكن الفراغ الذى أحسسته فى قلبى أبى أن
يمتلئ حتى على هذه الصورة ؛ وناقت نفسى إلى
الحب الذى أفعم من قبل ذلك القلب حتى طفع
به . وأخيراً أصبح الوادى مبعث ألم لفؤادى لما
يشيره من ذكريات ألينورا ، فتركته إلى غير رجعة ،
وانحدرت طريقى إلى مضطرب من هذه الدنيا حيث

جعلتها عباراتى تنظر حتى إلى الموت نظرة همدوء
ويسر . ولقد أفضت إلى بعد ذلك بأيام ، وهى تخطو
إلى الموت خطوات هادئة ، أنها جزاء وفاكاً لما فعلت
ولما أخذت على نفسى العهد الذى أثلج خاطرها
وطمان روحها ، ستعنى بى فى السماء حينما تسلم الروح ،
وإذا سمح لها فستظهر لى فى جلاء بين أطراف الليل .
وإذا كان هذا فوق مقدور الأرواح فى جناتها فسوف
تشرى بوجودها بمختلف الاشارات فأسمع تنهداتها
فى ریح المساء ، أو أشعر بالهواء محملاً رائحة عير
الملائكة ونفحات الفردوس . . . وفى مثل هاتيك
الأحداث الحلوة تنفجر عنها شفتاها الجليتان أسلمت
روحها البريئة إلى بارئ الحياة

كان قوام حديثى حتى نهاية هذه المرحلة من
تاريخ حياتى الاخلاص والصدق ، ولكنى حينما
أجتاز ذلك السياج القائم فى طريقى ، ذلك السياج
الذى كونه موت حبيبتي ؛ وحينما أخطو أول خطوة
فى المرحلة الثانية أحس كأن ضباباً ينمقد أمام بصرى
فيتركنى فى حيرة . لا أدري إن كان ما أتلو بعد
من حديث سيجمل على التعقل أم سيجمل على
الجنون ؛ ولكن دعنى آت بالحديث على سرده
تعاقت السنون وثيدة الخطى طويلة المهل ،
وما زلت مقبلاً فى « وادى الألوان » ، ولكن يد
التغيير قد تناولت للمرة الثانية كل شئ هنالك ؛
فلقد تناثرت تلك الزهرات الشبيهة بالنجوم ولم تعد
تراها العين بعد ، ورغبت تلك البسط الخضراء عن
لونى الساطع ، وانطفأت الزهرات الحمرة واحدة
بعد واحدة وحلت مكانها زهرات شبيهة بالعيون
السود ، كانت تذوى فى بطاء ، ولم يكن يعلق بها

ترخر الحياة بالغرور والتعاب والفوز !!

ألقيت نفسي في مدينة غريبة ، كان كل شيء فيها جديراً بأن يبنى من الذاكرة أحلامي الجميلة الى ورثتها من « وادي الألوان » ؛ فلقد أذهلني وحير عقلي ما وقعت عليه عيناى من مظاهر العظمة والأبهة في ردهات البلاط ، وملأت نفسي قعقة السلاح ، واستوقف بصري جمال النسوة ومفاتنهن ، ولكن روى على الرغم من ذلك ظلت أمة للعهد الذي قطعته والقسم الذي أدبته ؛ وزيادة على ذلك كان شيخ أليورا وكل ما يشعري بحضورها يملأ المكان حولي في سكون الليل ؛ ولكن ... على حين فجأة تلاشت كل هاتيك الرؤى وأظلمت الدنيا في عيني ، ووقفت مشدوها أمام الفكرة اللذاعة التي ملاكنتي . أمام العزم الرعب الذي ملك قيادي ؛ ذلك أنه وفدت على الحاشية الملكية الرحلة حيث كنت أعمل ، فتاة من بلاد نائية لم أعرفها ، فتاة استأثرت بلبي ، وأخذ سحرها بمجامع قلبي ، منذ اللحظة التي وقع فيها على شخصها بصري ؛ فتاة لم أتردد ، ولم أحس بعشقة عند ما أحيت رأسي لها في أشد ما يكون عليه العاشق من حماس ، بل وفي أحط ما يتطلبه الحب من عبودية ؛ وأين ما شعرت به من عواطف نحو فتاة الوادي الصغيرة من هذا الهوى المشبوب وهذا الهيام الجامح ، وهذا التحنن الذي ينبض به قلبي حيناً أريق روى عبرات سيالة ، وأنا ملق على قدمي « ارمنجارد » ؟ ومن هي « ارمنجارد » ؟ أليست ذلك المخلوق السماوي الذي يرق حتى عند الأثير ؟ آه ... يا حسنها ! يا حسن ذلك الملاك الرفاف « ارمنجاد » . ما أظهر

وما أعظم قداسك أيها الملاك ! إنها تملأ جوانب نفسي فلا أفكر في سواها . وحينما ألقى نظرة على عينيها النجلاوين ، وأرى مدى ما في معناها من عمق ، لا أفكر إلا فيهما . وفيها لقد تزوجت غير خائف مما استنزله على نفسي من اللعنات ، ولم أشعر يوماً بشيء يزجني الحنى في يميني . وحدث مرة - ولكن مرة واحدة في سكون الليل ، أن تسربت إلى حجرتي خلال الستائر تلك التهيدات الناعمة التي هجرتني ، وحولت نفسها إلى صوت جميل مألوف قلة :

« نعم في سلام ! فان روح الحب يحكم وتسيطر ؛ وإذا كنت تحل في قلبك اليوم تلك التي تدعى ارمنجارد ، فلقد غفر لك ما كان منك تجاه قسمك أمام أليورا ، وأصبحت بريئاً من الأثم لأسباب سوف يكشف لك عنها حينما ترقى إلى السماء » !
محمود الحفيف

رفائيل

لشاعر الحب والجمال لامرئين

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر

ومن إدارة « الرسالة »

المن ١٢ قرشاً

في أرضنا هذه إذا كان
في العالم أرواح ؟ »

والحق أن محاولة
إقناع أمثال هؤلاء من
أعسر الأمور ، فإن كل
إنسان يستطيع أن يسأل

أسئلة معجزة من هذا النوع
فلا يجد أحد جواباً عنها

ومن المستحسن بمس ذلك
أن أوجه حديثي منذ الآن إلى
من يصدقونه ، فإني رجل
لا أطيق أن أكذب فيما شهدته
بعمي ، ولا أحتمل أن يسخر
أحد من القول الصادق

اعتدت أن أذهب إلى

صديق (علي) في منزل قديم من المنازل الأثرية
الموقوفة قد استأجره لي جعله مخرباً يذهب إليه بين
حين وحين لكي يخلو إلى التصوير ، لأنه كان
مصوراً ماهراً لمناظر الطبيعة . وكان ذلك المنزل على
ما قال لي ذلك الصديق سكننا في وقت من الأوقات
الأمير رضوان بك الكبير أمير مصر وصاحب
العمارات الأثرية ، وقطب دائرة الأدب والفن في
أواسط القرن الثامن عشر

وكان رضوان في حياته الخاصة من أشد الأمراء
ميلاً إلى الترف والهوى ، وكانت له قصور عدة جعل
واحداً منها لمجالس لهوه وطربه ، يجالس في أمهاته
الفخمة مع طائفة مختارة من الأدباء وأهل الفنون
والموسيقين ، فيقضي فيه ليالي كانت مضرب

قصّة قصيرة

مقتبسات من كتاب

للأستاذ محمد خيريد أبو حديد



عيل أهل هذه الأيام
ولا سيما الشبان منهم إلى
التكذيب ؛ فهم إذا سمعوا
شيئاً ووجدوه غريباً عن
تصورهم أسرعوا إلى
الاجابة قائلين : « هذا

كذب » والتكذيب لا يكف
الانسان شيئاً أكثر من أن
يهز رأسه ويقول في تودة ووقار :
« هذا غير مقبول » وقد يقرن
قوله هذا بابتسامة هادئة دليلاً
على التسامح ، كأن العقل الانساني
قد عرف كل شيء ، فإذا كان
شيء غير مقبول ، كان غير
مقبول . والحقيقة أن العقل
الانساني لم يدرك إلا أبسط ما في

الكون ، ولم يفهم إلا أقل ما في الخليقة . فأسرار
الكون لا تزال بعيدة المنال عنه مستعصية عليه ؛ وما
أحرأ أن يصدق وأن يتنازل قليلاً عن كبريائه وعناده ؛
فإذا قال قائل مثلاً إن العالم مملوء بالجان لوى أهل هذا
الزمان أعناقهم ونظروا إلى القائل شراً . وقالوا
متهافنين : « جان يقول صاحبنا هذا إن العالم مملوء
بالجان : كأنه قد رأى الجان بعينه ! »

ولوتأمل هؤلاء قليلاً لعلوا أنهم مخطئون ، فإن
العين لا تبصر إلا بعض الموجودات ، فإذا هي لم
تبصر شيئاً فليس عدم إبصارها دليلاً على عدم وجوده .
وكذلك إذا قال أحد : « إن العالم مملوء بالأرواح »
فإن من يسمعه من أهل هذا الزمان حري بأن يجيبه
في سخرية وصاف قائلًا : « أرواح ! ولم تبق الأرواح

والاعتبار . ولعل هذا الشعور كان ناشئاً من جو المحترف ؛ فقد كان مكانه قديماً يشعر الداخل فيه أنه قد ولج بمض القرون الماضية . فاذا صعدت إلى سطحه رأيت حياى الجبل الشرق المشرف على القاهرة وعليه القلعة العتيقة قلعة صلاح الدين تطلع كأنها تحدث عما شهدته من جليل الحوادث وعجيبها . فاذا نظرت حولي رأيت مآذن المساجد تشرف على الحى كما كانت تشرف من قرون ، ورأيت البيوت القديمة المهدمة ، وكأنها تقول : « رب يوم كنا فيه نعيم بالحياة ونضطرب بالويل والمواطف ؛ فاذا نحن قد دكنا الزمان ، وعفى علينا البلى ، وأصبحت معالمنا أطلالاً وأكواماً ! »

كان كل شيء حولي يحدث عن الماضى ، ولا يحيا فيه إلا ذكر الماضى . فكنت وأنا هناك أنسلخ من عصرى ومن الحياة الصاخبة حولي لأعيش حيناً مع أجيال الأجداد أجالسهم وأحادثهم وأناجيهم ، وكنت كلما انتفت إلى الجدران ورأيت إحدى الجمجمتين المعلقين عليها خييل إلى أنها قد اكتست فصارت على عهدى ، إذ كانت آدمية حية ؛ وتصورت حيناً أنها تبسم إلى وتناجيني بما كان من ملذاتها ومسراتها ، وحيناً أنها تقطب نحوى وتساورنى بما كان من آلامها وشقاوتها

وكنت إذا ذهبت إلى ذلك المكان لا أبقى فيه إلا مادام النهار ؛ فاذا ما أقبل الليل أسرعت بالخروج منه قبل أن يحيم الظلام عليه ؛ فلقد كنت فى الحق أخشى أن بظلى فيه الليل إذ كنت فى قرارة نفسى أفزع من جوه كل من فى الانسان من الليل فى جوار القبور

وذهبت مرة فى يوم من أيام الشتاء على دعوة

الأمثال فى الروعة والأبهة ؛ ولكن مؤامرات منافسيه وحساده اتخذت فى قصوره سبلاً خفية انتهت بافساد بعض مما ليكه عليه ، فخانه واحد منهم فى قصره وضربه بطلق نارى أصاب ساقه ، وكان سبباً فى موته بعد قليل . ويقال إنه قد ضرب تلك الضربة فى ذلك البيت الذى اتخذته صديقى لمحترفه ولوثت دماؤه أرضه فى أثناء هربه من المؤتمرين به وكانت صديقى يحيط ذلك المحترف بغريب الأثاث ، ولا سيما ما كان منه على نسق أثاث المعصور الماضية ؛ فكانت فيه أنواع مختلفة الأشكال والأعمار ؛ فقطع قديمة من الحشب الخروط (المشبك) ، وقطع من النحاس المسكفت ، وقطع من الأبنوس المطعم بالصدف والعاج ، كما كانت فيه كراسى قديمة من القش وأخرى من الخيزران ؛ وقد علق على الجدران قطعاً من تماثيل بعضها يمثل وجوها ، وبعضها يصور أجساماً ، وبعضها يمثل بعض الآثار الفنية من مخلفات اليونان والرومان ، ونصب بينها بعض لوحات من لوحاته تمثل الربف المصرى وحيوانه ، أو تمثل حدائق مصر ومناظر غيطانها ، وأدلى من السقف مصابيح من أنماط كانت مستعملة فى الأزمان الغابرة فى مختلف المعصور . وكان أعجب ما علق على تلك الجدران بعض عظام للحيوان والانسان بينها جمجمتان صفراوان تنظران إلى الجالسين كأنما تقولان لهم : « لقد كنا كما تكونون » وكنت أجد فى اختلافى إلى ذلك المحترف شيئاً كثيراً من السرور : سرور من نوع خاص ، ليس كالسرور المعتاد الذى يهز النفس ويبعثها إلى المرح والضحك ، بل سرور يملأ النفس بشعور قوى من الارتياح يشوبه كثير من الميل إلى الجد

لم يكن لى معها مجال للتفكير ، وأنجحت الضجة عن
 اثنين يتجادلان ، وقد أقبلنا من وراء ستار من
 الديباج الأخضر رأيت إلى يساري
 ورأيت أحدهما شاباً صغير السن في نحو
 العشرين ، جميل الصورة ، أبيض الوجه ، أصفر
 الشعر ، يلبس عمامة مطرزة بوشى مذهب ، وعليه
 لباس غريب لا عهد لنا به اليوم ، فهو سراويل
 فضفاضة من الحرير الأحمر فوقها حزام أصفر
 عسجدي ؛ وقد لبس فوق ذلك كساء من الحرير
 الأبيض ضيق الأكمام عليه طراز من وشى مزركش
 بخيوط ذهبية . فكان في مجموع هيئته صورة لما
 تنقله اليها أخبار التاريخ من صور مماليك الأمراء
 بمصر فيما مضى . وأما رفيقه فقد كان شيخاً
 يلبس ثوباً من الحرير المخطط الذي يلبسه اليوم
 أصحاب العمام ، وقد شد على وسطه حزاماً من
 الحرير الملون المنقوش ، وجعل على رأسه عمامة
 ساذجة بيضاء ؛ وكان يحمل في يده حقيبة صغيرة
 وطستا من النحاس الأصفر مما كان مثله لا يزال
 مستعملاً عند الحلاقين منذ جيل . ولما اقترب
 الشخصان سمعت نجواهما

قال الشاب هامساً : سيحضر الأمير بهمد
 قليل فاستعد

قال الشيخ : لقد دعاني الأمير على غير عادته

قال الشاب : هو مجلس حافل

فسأل الشيخ هامساً : بقصر الأزيكية ؟

فهر الشاب رأسه علامة الإيجاب وقال :

سيحضر اليه هناك ندماؤه جبريل واللقيمي وقاسم
 والادكاوي

فغمز الشيخ بعينه ، وتبسم قائلاً : ليسلة أنس
 من لياليه !

من صديقي ، وقضينا اليوم هناك حتى غروب
 الشمس . وكنت أشتغل في أثناء ذلك بكتابة قصة
 من التاريخ ، وكان صديقي منهمكاً في رسم نور
 مصرى قاعد إلى جنب مزود ، فلما أقبل الظلام
 تنهت إلى نفسي ونهت صديقي قائلاً له : « لقد
 آن أن نذهب » غير أنه تردد وقام إلى مصباح
 فأشمله وقال : « إنني أحب أن أبقى هنا إلى
 أن أنتهى من هذا النور فقد طلبه مني أحد الأعيان
 ووعدت أن أرسله إليه في الغد ، ولا أملك أن
 أنطلق من موعدى ؛ فإذا قضيت من جزءاً من الليل
 حتى أتمته كنت شاكرآ » . فلم أشأ أن أراجع
 صديقي في رجائه ، وكنت كذلك أحس من نفسي
 ميلاً إلى الكتابة ، فرأيت في البقاء هناك فرصة
 لإنعام ما بدأت كتابته ، فرضيت أن أبقى ، وأقبلت
 على ما كنت فيه ، وأقبل صديقي على إنعام صورة
 نوره بحماسة وسرور . ثم تعبت من الكتابة بمدة
 حين ؛ فاستلقيت في مكاني ، فاذا بي وقد استولى
 النعاس على فعمت ؛ ولم أدر كم بقيت على حالي تلك
 إلى أن تنهت على صيحة هائلة حولي فقممت مذعوراً
 ونظرت حولي فرأيت نوراً عجيماً ساطعاً من المصباح
 ورأيت المكان حولي على غير ما كنت أعهده ،
 فلقد كان مكسواً بأنواع الفراش والأثاث ، وعليه
 أنواع شتى من الستور والطنافس ؛ وصفت حوله
 الوسائد والساند والزرابي ، وسمعت في المكان لغطاً
 كثيراً ، كأن أشخاصاً يتخاضمون فيه ، وكنت
 من دهشى لا أستطيع أن أذكر أين كنت ، ولا
 من أنا ، ونسيت ذكر صديقي ، ولم أملك نفسي مما
 دخلها من الروع . فحاست القرفصاء في الركن
 الذي كنت فيه وتملكني خشوع ، وعلتنى رهبة

بيضاء مسحوفة سكبها من الورقة ؛ ثم أقفل الحق
وبعد عنه وهو يغني أغنية قصيرة ، وجعل يساعد
الشيخ على إعداد الماء وترتيب الزجاجات والماء
وقد عراني وأما أنظر إلى هذا شيء عظيم من
الفرح ، ولكني لم أجروا على التحرك من مكاني
بل ضغطت نفسي في ركني ، وجعلت أتصق
بالوسائد التي بجواري ، وأنكش بينها خوف أن
يقع نظر أحدهما على

وقد عجبت إذ لاحظت أنهما وإن أجمعا نحوى
أحياناً يتجاهلان وجودي ، فداخاني من ذلك
شيء من الاطمئنان وأفرخ روعي

وسمعت بعد حين حركة من تجاه الباب وصاحلة
سلاح ، وأصواتاً مختلطة ، وصاح صائح في الخارج
يقول : « الأمير رضوان كنتخدا دام عزه ! » ثم
فتح الباب وأقبل منه شخص بدين في ثياب زاهية
تبرق بما فيها من الذهب ، وما بتخللها من الوشي ؛
وقد انعقدت على رأسه عمامة هي أشبه بالتاج بما
عليها من الجوهر والوشي . ومنذ أقبل الرجل أحنى
الشاب انحناءً عظيمة كما بركع الناس في الصلاة ،
وحيا الشيخ تحية بالغة ؛ فعلمت أن ذلك هو الأمير
الكبير الذي كان الرجلان يذكرانه في حديثهما .
ولم يلتفت ذلك الرجل إلى أحد ، بل ذهب إلى
كرسي عال من الأبنوس المطعم بالصدف والماج
وجلس عليه ، فامتلاً الكرسي به ، وترجع من
ثقله ؛ ثم جعل الشيخ يحلق له رأسه ، ويسوى
له من لحيته وشاربه ويضمخهما بالمطور والأدهان ؛
ولما فرغ من ذلك التفت إليه الأمير وقال له
هامساً : « هل أحضرت الدواء ؟ »

فتبسم الشيخ وهز رأسه علامة الإيجاب
وقال : « مولاي ! ها هوذا »

فتبسم الشاب وقال : ليسالي رضوان كنتخدا
المشهورة !

ثم اقترب منه وقال بحذر : والدواء ؟ هل
أحضرتة ؟

فسأل الشيخ باهتمام : هل يريدك الليلة ؟

فهمس الشاب : ليلة أنس وفرح ؛ هل
أحضرته معك ؟ الدواء ... ؟

فضحك الشيخ وأخرج من جيبه حُقاً من
الفضة ورفعه نحوه قائلاً : « ها هو ذا »

فتقدم الشاب نحوه وقد اتسمت عيناه وقال
بشيء من اللفة : « أرني »

ثم مد يده إليه فأخذه بشيء يسير من القهر ثم
فتحه وجعل يشمه

فاقترب الشيخ منه ، ومد إليه يده لاسترجاع
الحُق قائلاً : « حاذر ! »

قال الشاب : « لماذا أحاذر ؟ » ثم مد يده
إليه يوسى كأنه يريد أن يذوق منه

فقال الشيخ : « لا تذوقه ، لا أسمح لك ، هذا
ليس لك ؛ هات الحق »

فتبسم الشاب وقال : « لماذا تخاف على منه ؟
أهو سم ؟ »

فأجاب الشيخ مقطباً : « قبحك الله ! وهل
أجل السم ؟ »

فأعاده الشاب إليه وقال : « لا بأس ؛ استمد
الآن ، سيأتي الأمير بعد قليل »

فأخذ الشيخ الحق وذهب به نحو منضدة
فوضمه فوقها ، ثم أجمعه نحو منضدة أخرى وجعل
يرص عليها آلاته . وفيما هو مشغول في ذلك اقترب
الشاب خلسة من الحق ، وأخرج من منطقتة ورقة
مطوية ، ثم فتح الحق بخفة محيية ، ورمى فيه مادة

فزاد اضطراب الفتى وقال وهو يلهث لا يكاد يبين كلماته :

« لا . لا أذوقه . ليذوقه هو . أظنه مسموماً . لماذا لا يذوقه هو ؟ إنه مسموم . »
فصاح الشيخ حائقاً : « مسموم ! يالك من لئيم وفج ! »

فقال الفتى : « إذن ذقه » والتفت نحو الأمير قائلاً : « لقد علمت أنه مسموم . قد دسه عدو الأمير عبد الرحمن كتحداً — واتفق مع هذا الوغد على قتلك »

فقام الأمير ثاراً عند ما سمع هذا وقال للرجل : « ذقه . أو ذق هذا » وجرد سيفه الذي كان مدلى إلى جانبه

فتقدم الشيخ جريئاً إلى الحق ، وتناوله وهو ينظر إلى الفتى المضطرب وقال له بحنى :

« مسموم ؟ أنت لئيم كاذب منافق . هل أسمى سيدى ؟ » ثم أخذ منه بأصبعه قطعة فابتلعها ، ثم أخرى ، ثم ثالثة . وقال :

« لم أكن أخاف إلا فعل هذا الدواء فى وأنا رجل مسن . مسموم ؟ يالك من منافق ! »

غير أن الدواء ما كاد يستقر فى جوف الرجل حتى وضع يده على بطنه ونظر إلى الأمير وقال :

« يا للمعجب ! كأنى ابتلعت كل أمواسى ، كأن أحشائى تنقطع »

ثم زاد به الألم فجعل يعضر بطنه ويلوى وجهه وارتمى وهو يتوجع ويصرخ ويستجير

فنظر الأمير إليه دهشاً وبقي صامتاً وهو ناظر إليه لحظة طويلة ، ثم انفرجت شفته عن ابتسامة مرّة وقال :

وأجمه نحو المنضدة التى كان عليها الحق فأحضره وقدمه إلى الأمير

فقال الأمير : « ومتى يؤخذ ؟ »

قال الشيخ : « قبل النوم بقليل ، بلحظات قصيرة ، فهو مؤكد وقوى »

فسأل الأمير : « أهو مجرب ؟ »

فقال الرجل : « مولاي ! عبيدك ماهر فى صناعته »

فنظر إليه الأمير وقال : « أحب أن تذوقه أولاً »

فقال الشيخ فى صيحة مكتومة : « أذوقه ؟ » قال الأمير : « نعم » ، ورفع حاجبيه متمجّباً

وهو ينظر إلى الشيخ المتردد . وقد رأيت الفتى عند ذلك يضطرب فى مكانه ثم تمالك نفسه وتكاف

الهدوء ، والأمير مشغول عنه بالنظر إلى الشيخ فقال الشيخ فى شئ من الارتباك : « ولكنى . »

فقاطعه الأمير فى شئ من الغضب قائلاً : « هل تخاف أن تذوقه ؟ »

فأمرع الشيخ معتذراً يقول : « مولاي ، لا أخاف شيئاً ولكنى رجل شيخ »

فقال الأمير مستمراً فى غضبه : « وما ذا ؟ » قال الشيخ : « ليس هذا لمثل ؛ فليذوقه هذا

الشاب وأنا ضامن سلامته بحياتى »

فتردد الأمير لحظة ، ثم نظر نحو الفتى وناداه قائلاً :

« تعال يا حسن . ذق من هذا »

فاضطرب الفتى وتردد لحظة ، ثم انفجر قائلاً : « مولاي ! »

فقال الأمير متمجّباً : « ما ذا ؟ »

« كم أخذت أيها الخائن ثمنًا لخيانتك ؟ أكنت تطمع أن تكون من الأمراء إذا أنت قتلتني ؟ أكنت تأمل أن يمتد بك العمر مائة عام بعد هذه الشيخوخة لتنعم بثمار خيانتك ؟ ذق إذن طعم السم الذي كنت قد أعددت له »

ثم اقترب منه وركله برجله ركلة عنيفة قلبته على الأرض فبدأ وجهه المحتقن المتقاص من الألم ، وكان منظرًا بشعًا فظيماً

وحاول الشيخ الكلام فلم يستطع إلا حروفاً مقطعة يقذفها بين الآهات والأناث ، فلم أستطع أن أجمع منها إلا قوله :

« إنني الآن على شفا القبر فلا أكذب ... خذ مني كلمة صدق أمام الله الذي سألقاه بعد قليل ... لم أدس لك السم بل قد دسه لك هذا المملوك الخائن الواقف وراءك ، فانه لم يقرب أحد من علبة الدواء إلا هو ، ولقد لمحتنه يقترب منه وأنا أجهز عدتي ، ولكن القضاء غلب على فلم أفطن إلى قصده ... فاحذر هذا الفادر والله على قولي شهيد »

وما أنتم الرجل كلامه حتى انقلب على بطنه ثم فارقه الحياة

ونظر الأمير نحو المملوك فلم يجده ، إذ كان قد اختفى مسرعاً كالأرنب عند ما سمع كلام الشيخ فالتفت نحو الباب وشفق صائحاً وهو غاضب ، غير أن الصدى وحده هو الذي أجاب تصفيقه وصياحه ، وتبع ذلك صمت مثل صمت الصحراء في الليلة الهادئة . ورأيت وجه الأمير قد اربد واتسمت حدقتاه وبدا عليه اضطراب عظيم ثم تمم قائلاً :

« عجيب ! إنني أحس حولي بنذر الشر »
ثم خطا نحو الباب محترساً ولم يكذب بيلغنه حتى فتح فجأة ودوى في الحجرة انفجار عظيم ؛ وعلا

دخان غطى السكان حيناً ، ثم سمعت خبطة قوية على الأرض فظرت وإذا بالأمير صريع إلى جنب الشيخ المسكين ، وقد قبض بيده اليمنى على ساقه وهو يئن ، وسمعت أصواتاً مختلطة في الخارج تتباعد كأنها تهرب وهي تكتم الصيحات ، ثم رأيت الأمير يتحرك ثقيلًا وهو قابض على ساقه ، وقام وهو يمرج فأخذ سيفه في يمينه وانكأ عليه كأنه عصا ، ثم سار في بطاء شديد والدم ينزف من ساقه غزيراً ويلوث الأرض ، وخرج من باب صغير في خاف الحجرة وهو يئن ويتوجع ويقول في سيرة :
« لأظمنك أرباً ... آه أيها الخائن ! آه إذا نجوت ... وهيهات لي النجاة ! »

ومضت مدة قصيرة بعد ذلك ، ثم سمعت أقداماً من وراء الباب الكبير تسير كأنها في حذر وخوف ، ثم فمخ الباب وظهر منه رأس الشاب ، وسمعت من خلفه صوتاً يسأله « هل مات ؟ »

فنظر الشاب حول الغرفة حيناً ثم صرخ فزعاً :
« أين هو ؟ إنني لا أراه ، ويلنا ! لقد نجنا ! هلموا اندركه قبل أن يغوتنا فيه لسنكنا » ، فاشتد اللفظ وزادت الضجة واختلطت الأصوات ، ثم تباعدت الجلبة شيئاً فشيئاً حتى عاد السكون وخيم على السكان . وعمراني في أثناء ذلك خوف لا أستطيع أن أصفه ، ولم أدر ماذا صنعت . ثم غبت عن الوعي فلم أفق إلا على صوت داء شديد يهز الفضاء ، فقممت ونظرت فيما حولي فرأيت نافذة الحجرة مفتوحة قد اقتحمها الهواء الشديد ، وسمعت الطر ينهمر كأنه أفواه الميازيب ، وكان البرق يلمع متعاقباً ، والرعد يقصف كأنما هو دوى المدافع في ميدان القتال

ورأيت سدقي داخلا إلى الحجرة عقب ذلك

وهو مسرع لهفان ينادى : « ماذا بك يا أخى ؟
 لقد سمعتك تصيح صيحة منككرة ، أبك شر ؟ »
 وكأني كنت عند ذلك قد نسيت ذلك
 الصديق ، فما كدت أراه حتى قمت أنتفض من
 الخوف ، ولم أطمئن حتى اقتربت منه - ولما
 استطعت الكلام سألته : « ما معنى هذا ؟ »
 فقال : « لقد أنهيت من صورتي متأخرا »
 فقلت : « أية صورة ؟ »
 فقال : « لا بأس عليك . تعال اجلس . لقد
 رأيتك نائما فلم أحب أن أزججك فذهبت للنوم في
 الحجرة المجاورة ، وكان المطر لا يسمح لنا بالخروج
 على كل حال . ولكن لم أراك في مثل هذا
 الاضطراب والانزعاج ؟ »

فنظرت إليه نظرة عتاب وقالت له :
 لقد كانت ليلة لا أظن أنني سوف أرى مثاها
 في سائر حياتي ، ثم جعلت أقص عليه ما رأيت
 وأنا ألث من الاضطراب
 ولكن ذلك الصديق كان من أولئك
 الشكاكين الجفاة الذين لا يرضون أن يصدقوا
 شيئا ، فلما أنعمت له قصتي تضاحك وقال :
 « ليتك أخذتني معك في حلمك العجيب
 لأشاركك في هذه التسلية البديعة »
 وأما أنا فلم أجده ميلا إلى محاورته ، ولكني
 كنت فيما بعد لا أزوره في محترفه إلا في ضحوة
 النهار الواضح

محمد فريد أبو حديد

كل من يريد الحج يجد

في كل خطوة سلامة

من البيت إلى السويس طريق مرصوف وسكة حديد مريحة ، وفي السويس لوكاندة
 مصر المشهورة بكل أسباب الراحة ، وفي البحر زمزم وكوثر وفيهما أبدع مافي
 البواخر الضخمة من متاع . وفي أرض الحجاز الأمان الوفور والطرق الممهدة
 والسيارات ، وفيها أيضا لوكاندة مصر في جده وفي مكة ، وفيها كذلك شئ جديد
 لم يجده الحجاج في المواسم الماضية وهو تنظيم العملة المحلية حيث يجدون كل
 عشرين ريالاً سعودياً يجنيه واحد ذهب سعراً ثابتاً

اعتزموا الحج واغتموا مرة واحدة

واستزيدوا من فوائده للصحة والدين

من كل قلبه ، ويقدمها
من أعماق نفسه ؛
ولقد كان موتها هو
الصدمة الوحيدة التي
تلقاها (نك) في حياته .
ثم قال أخيراً :

— إن زوجتي
يجب أن تكون مله

بكل شيء ، عالة بواجباتها جد العلم ؛ يجب أن تكون
مهذبة عاقلة ؛ يجب أن تكون سليمة الذوق حسنة
الاختيار تخضع لأمرى ، وتنصاع لرغبتى ، ولا تدلى
إلى برأيها إلا إذا سألتها ذلك . فقال صديقه (آلان)
وكان جالساً بالقرب منه في لهجته التهامية :

— الأفضل أن تكون صماء خرساء ... ثم
استطرد (نك) كأن لم يسمع نهكم صديقه :

— يجب أن تكون جميلة الوجه باسممة الثغر ،
تبذل ما في وسعها لأسماعدى ؛ وبالطبع يجب أن
تكون أيضاً متدبنة متواضعة ... فصاح آلان :

— مسكينة هذه الفتاة ! مسكينة هذه الفتاة !

— لقد أفرطت في الخرابها المعجوز . لن
تكون مسكينة قط ، بل ستكون أسمع فتاة على
وجه البسيطة ... فقال كامبيرون :

— ليس هناك فتاة تجمع كل هذه الصفات

يا (نك) ؛ وأؤكد لك أنك لن تجد بغيتك بين فتيات
العالم ... اللهم إلا إذا أتيت بطفلة وريبتها كما يحب ...

— أصبت يا صديقى ... هذا ما سأفعله !

— ماذا ! قالها كامبيرون في دهشة

— لقد فكرت في ذلك ملياً ، وأخيراً قر

عزى على أن أبحث عن طفلة بتيمة أتوسم فيها
الدكاء ، أرسلها إلى قصر سانت مارى لتنشأ في

المجهول ضائع

للكاتبة الإنجليزية ريجريت كنزى
بقلم الأديب أحمد فتحي مرسي

أيقن (نك كايثور)
في ربيعته الثالث
والعشرين أنه لن يوفق
في اختيار زوجة صالحة
بعد أن رأى أصدقاءه
يلقون بأنفسهم في هوة
لا سبيل إلى النهوض
منها

قال مرة لصديقه كبيرون في ثورة من ثوراته
على الزواج :

— إن ذلك الزواج المصرى لا يخرج عن
كونه موتاً محققاً — إن الرجل العاقل لا يمكنه
أن يقف مكتوف اليدين إزاء امرأة تملى عليه
إرادتها . إن هؤلاء النساء المصريات مندفعات
طائشات ... ولا أعلم لماذا يتهافت الرجال ويرتمون
على أقدامهن أهلاء ضعفاء ؟ .. فغمغم صديقه قائلاً :

— سيأتى دورك يا صديقى ، وسنرى أنك
أول من يتهافت عليهن

— لن ترى ذلك في حياتك يا كبيرون
— هذا صحيح ولكن لا تنس يا صديقى
أنك رجل و هم رجال ؟ !

وأعقب ذلك برهة صامته أطرق فيها (نك)
برأسه مفكراً . إنه لا يعتقد أنه مثل هؤلاء الرجال ...
إن كل أعماله وتصرفاته تدل على أنه يختلف عنهم
جد الاختلاف . لقد كان ممتازاً في جميع مراحل
عيشته وأدوار حياته . لقد كان أرزن منهم في
مدرسته ، وأذكى منهم في جامته ، وأعقل منهم
في ميدان حياته ، وأرغد منهم في عيشته المنزلية .
لقد كان يملك قصرآ في سانت مارى بضاحية
شوبشير يعيش فيه مع أمه الشقيقة التي كان يعبدها

في أفكاره إلى أن استرعى نظره فجأة طفلة تبكي بالقرب منه

لقد كانت تبكي لأنها — كما قالت — فقدت شريطها الأزرق في الحديقة . وقبل أن تنتهي من وصف الشريط والمكان الذي سقط فيه . . . قال لك لنفسه :

— لقد وجدتها . . . لقد ظفرت بها أخيراً كانت جميلة الوجه ، ساحرة العينين ، لم يشوه رداء اللبأ الأصفر من جمالها الرائع . ولقد أصاب كابتور في شعرها الأصفر ، وفي عينيها الزرقاوين غاية مناه . . . ما اسمها يا ترى ؟ . . . « سالى كريجيان » إنه اسم ظريف ، وكـ عمرها ؟ : ثلاث عشرة سنة . حسن ثم حسن ، أماسها الوقت الكافى لتتعلم . . . وهل مى ذكية ؟ أراد أن يتأكد من ذلك فقال :

— أتعلمين هنا ؟

— نعم ؟ « قالتها فى تهد عميق »

— وما الذى درست اليوم ؟

— لقد نسيت

وهنا أطرق كابتور فى حزن ، ولكنه لم يكتف بهذا القدر من الأسئلة فقال :

— أتحفظين قواعد الرحمة السبع ؟

— نعم أحفظها . . . ثم أخذت فى عدها على أصابعها فى تودة وثبت مما أدخل فى روعه أنها على جانب غير قليل من الذكاء . . . ولكن ماذا عن الموسيقى والغناء ؟ أترأها تحبب الغناء ؟

أخذت تغنى أمامه أغنية الصيف ، فبدأ صوتها عذباً جيلاً ، وغناؤها موقماً ملحناً كأنه غناء البابل فى هدأة السحر

— هذا جميل !

وجلس كابتور معها على مقعد خشبي فى الحديقة ثم أخذ يتحدثها عن الطبيعة ، ثم عن قصره فى

كنف عمى (أليس) وتحت رعايتى النشأة التى أريدها . فقال آلان ضاحكاً :

— إننى لم أسمع فى حياتى بمثل هذه الفكرة . أتمنى أنك ستسجنها فى قصرى فى سانت مارى ؟ — كلا . . . كلا ليس هذا ما أعنى . لن تكون دائماً فى سانت مارى ؛ بل كثيراً ما سأرتاد وإياها مطالع الفن ودور الموسيقى حتى أذهب من طباعها وأرقق من ذوقها ، وأجعل منها تلك الفتاة التى تسمدنى فى حياتى . لن تتعلم شيئاً لا أرغب فيه ، ولن تحظى بمعرفة شئ لا أريده لها . فقطامه آلان هازناً

— كفى كفى يا صديقى . . . أرجو أن تسمح لنا بالانصراف

مضى لك يبحث عن ضالته غير عابى بهزه أصدقائه وسخرية الناس منه . ولكن ألى له أن يجد طفلة بتيمة ؟ لقد كانت المربيات ينظرن إليه نظرة شك وارتياب رغم تهافتهن على من يتبنى هؤلاء الأطفال . ولقد نما مرة إلى سمه أن هناك امرأة فى كدمنستر ناوى الأطفال البتلى ، فأمرع إليها ظاناً أنه سيعثر على ضالته المنشودة ، ولكن خاب ظنه فقد وجد أن أكبر الطفلات لا تتجاوز الخامسة من عمرها ؛ وهذا معناه أنه لن يتزوج حتى يبلغ الأربعين

واستأنف لك بحثه فلم يثبط الفشل المتواصل من عزمه ، ولم يكسر هزه الأصدقاء من رغبته . . . فقصده ذات يوم إلى ماجا للأيتام فى الضواحي بعد أن قدمه صديق له إلى مديرة اللبأ ، ودعته هذه بدورها لزيارته ؛ فلما وصل إلى اللبأ جلس ينتظرها فى الحديقة . . . وكان المكان جيلاً ، والحديقة رائمة التنسيق على الرغم من بساطتها . فجلس لك يسبح

صغيرة من الزجاج مثبتة في أعلى البناء ، فغمغم قائلاً :
— أظن أنه ليس هناك من يستطيع أن يتسلق
هذا السور وهذا الزجاج منشور عليه ، فملت وجهها
غمامة من الحزن ، وأخيراً قالت في سرعة :
— إذن دعنا نذهب الى سانت مارى ... إننى

لا أحتمل عقابهن !

— يجب أن نستأذن المدير أولاً يا عزيزتى
— إنها ان تدعى أذهب معك قط قبل أن
تكتب الى والدى ووالدى

— الى من ؟ قالها في دهشة

— الى والدى ووالدى ... وهناك أساييع

طويلة قبل أن يصل الرد

— ماذا ؟ ماذا ؟ ألك والد ووالدة ؟ ... إذن

أست بقيمة !

... كلا ... أ كنت تعتقد ذلك ؟

— بالطبع كنت أعتقد ذلك ... وماذا

تفعلين فى ذلك الملاجئ ؟

— هذا غريب ! أ ندعو المدرسة ملجأ ؟

— أأست إذن بفقيرة ؟ فرفمت وجهها فى

كبرياء ثم قالت :

— فقيرة : إننى خامسة أغنياء العالم

والذى تيودور كريجيان الثرى الأمريكى المعروف ...

قالت ذلك فى غضب مما جعله يغمغم معتذراً فى طريقه

الى الباب ... حقاً لقد قرأ أن الثرى الأمريكى

كريجيان أرسل وحيدته الى إحدى مدارس انجلترا

خوفاً عليها من رجال المصالبات فى أمريكا ... وهنا

أدرك كايثور خطأه ، فقد دخل هذه المدرسة

ظناً منه أنها الملاجئ الذى يقصده

مضت بعد ذلك فترة من الزمن خلا فيها الى

نفسه وانقطع عن العالم ، وجفا أصدقاؤه لا أسمعوه

سانت مارى ، وعن جمال موقعه ، وعن ذلك النهر
الذهبي الذى يجرى من خلفه ، وعن روعة ما يحيط
به من الحدائق وما يتخللها من زهر رائق الأفواف
وما يكتنفها من مناظر الطبيعة التى تسحر العيون
وتبهز النفوس

وأخيراً بعد هذا التمهيد الطويل سألها فى هدوء
عما إذا كانت ترغب فى الذهاب لتقيم معه فى
سانت مارى . ولقد رأى نفسه متسرعاً فى
توجيه هذا السؤال قبل أن يقابل مديرة الملاجئ
ولكنه كان مشوقاً الى معرفة رأى فتاته الصغيرة .
فسألته وقد بدت الدهشة فى عينيها :

— أقيم وحيدتين فى ذلك القصر الكبير ؟

— هناك أيضاً عمى أليس ، وستحبك كثيراً

— إننى لا أحب العمات . لقد كانت لى عمه

كثيراً ما كانت تضربنى على أذنى . وفى تلك

اللحظة طرق سمعها رنين الناقوس ، فقفزت

الصغيرة فى خوف قائلة :

— لقد انتهى الدرس وستخرج المربيات

فيجدننى هنا ويعاقبننى ... إنه ليس مسموحاً لنا

بدخول الحديقة ... وأسرعت الى الباب الصغير

الذى يصل الحديقة بملعب الأطفال ، ولكنه كان

موصداً .. فصاحت فى خوف :

— ماذا أفعل ؟ ماذا أفعل الآن ؟ لقد كان هذا

الباب مفتوحاً منذ هنيهة ... لماذا استبقيتنى

بجانبك ؟

— لا تخافى يا عزيزتى ... لن أدعك تعاقبين .

سأقول لهن إنى استبقيتك

— كلا كلا ... يجب أن تساعدنى على أن

أستلنى الحائط الى اللعب ... هيا أسرع ! أسرع !

وأشارت الى حجر كبير مثبت فى جانب

الحائط فصعد طائماً ، ولكنه أبصر فوق السور قطعاً

تعمل كامبيرون في جلسسته ، وصر آلان بيده على جبهته ، ثم وقفوا جميعاً عندما بلغت نهاية الدرج وأخذ كايثور يدها وعلى ثغره ابتسامة غر ونصر وقدمها الى صديقيه باسم « استرا » ثم أخبرها على المائدة أنها تنتمى إلى قبيلة نوريه وأن جدها وحمه إياها منذ سبع سنوات ؛ ثم قال :

— وبالطبع كانت لا تعرف إذ ذاك كلمة الإنجليزية ، وقد كان هذا جيلاً ، فقد أتاح لي فرصة تثقيفها بكل ما أحب ، وأظن أنها تتكلمها الآن كاحدى بنات إنجلترا

بل أكثر من ذلك ... إنها تتكلم الآن أربع لغات أوروبية ، فضلاً عن أنها تعرف قليلاً من اليونانية ، وشيثاً من اللاتينية . وقد أبحث لها فرصة الاطلاع على زبدة الأدب الأوربي ، وخلاصة الأدب الشرقى . وأعقب ذلك برهة من الصمت ثم قال :

— إن لها ذوقاً حسناً في الاختيار ، وبالرغم من قرب عهدنا بالموسيقى تجيد العزف على البيانو والقيثار وسنسمعهما سوياً بعد الغداء

وانتقلوا بعد تناول الغداء إلى غرفة الموسيقى حيث أسمعهم قطعة على القيثارة ، ثم أخذت تغنى لهم أغنية نورية ، فبدت في نبراتهما مسحة من الخشونة ، ولاح في صوتها شيء من الجفاء ، وغلب على وجهها طابع الجود الحسى ، ورائت على العرفة هدأة عميقة ، والكل يصفون كأنهم تحت حلم مزعج لا سبيل إلى الخلاص منه . والحقيقة أنها كانت جلسة ممله للصديقين

ولما أقبل الليل وآوت استرا إلى مخدعها خلا كايثور إلى صديقيه يستطلع رأيهما ... أما كامبيرون فخاف أن يسدم صديقه وغمغم بكلمات التهنئة ، وأما آلان فقال :

من هراء وسخرية ؛ إلا أنه بعد ستة أشهر من ذلك جرت على السنة أصدقاؤه إشاعة مؤداها أن كايثور عثر على الفتاة التي يرجوها في مقاطعة بروثيس ، وأحضرها معه إلى إنجلترا ... ثم تفرق أصدقاؤه بعد ذلك ، فسافر كامبيرون إلى كينيا ورحل آلان إلى استراليا ، ثم انقضت سبع سنوات قبل أن يسمع أحدهما شيئاً عن كايثور ؛ ولكن شاء القدر أن يجتمعهما به بعد هذا العمر الطويل فمادا إلى إنجلترا سوياً ، وما علم كايثور بذلك حتى كتب اليهما يسألهما زيارته في سانت ماري بعد هذا الغياب الطويل ، ليحدثوا عهد الشباب الزاهر ، وليستمعوا ذكريات الماضي السعيد ؛ فلبيا طلبه وهما أشد ما يكونان شوقاً لرؤيته ، وتشوقاً لمعرفة ما صنعه طوال هذه الفترة نلقتهما عتمته (أليس) على باب القصر في بشر وترحيب ، فلما دخلاه أخذوا يجولان بعينيهما في نواحيه ، ويرسلان بصريهما في أرجائه وأبهاه ليريا ما عساه قد جد ... ولكن كل شيء كان على ما هو عليه من قبل ، حتى الزهور الصناعية الموضوعة على المائدة كانت هي بعينها التي اعتادت والدته كايثور أن توضعها قبل موتها

ولما جلسوا إلى المائدة أثار دهشتها أنها معدة لخمس أشخاص لمن هذا المقعد الخامس يا ترى ؟ أهنالك ضيف ثالث ... ولماذا يتأفت كايثور حوله كأنما يتوقع حضور أحد ؟

وأخيراً بعد برهة من الحيرة والتساؤل وقع نظرها عليها وهي تهبط الدرج ... لقد كانت طويلة كشجرة الحور ، سوداء كظلام الغابة ، ضيقة العينين يشع منهما بريق مخيف ، بارزة الخدين صغيرة الأسنان من غير تناسب ولا توافق ... وبالجملة لم تكن الإنجليزية الخلقة — من أين أتى بها يارى ؟ أمى أسبانية ؟ أم هى من الشرق ؟

ولم يطق كايثور أكثر من ذلك ، فقطع النقاش واستدار مولياً وجهه شطر الباب ... لقد كان على وشك أن يعين موعد زواجه قبل أن يزوره صديقه .

حقاً إنه لم يحدث استرا في هذا الشأن ، ولكنه يعلم جد العلم أنها تجارية في رغبته . أما عمته (أليس) فقد رأى منها أنها لا تنظر إلى هذا الزواج بعين الرضا وإن لم تصارحه بذلك . وأما أصدقائه فهما هم يعارضونه أشد المعارضة . ماذا يفعل يا ترى ؟ جالس يفكر ويفكر . هل يستقر على رأى ، أو يثبت على عزمه ، ولكن بدون جدوى ... ولجأة أفاق من تفكيره العميق فقد وقع نظره على فتاة في الحديقة أمارت دهشته ... أبصرها خلال نافذة المكتبة وكانت عارية الرأس ، شقراء الشعر ، ذات ثوب أزرق قصير ، ورائحة تجمع ثمار التوت من الحديقة آمنة مطمئنة كأن أليس للحديقة من يملكها .

قام مضطرباً وازل إلى الحديقة مسرعاً ثم صاح بها :
— ماذا ترمين يا هذه ؟

ولكنها بدل أن تجفل منه كما كان يتوقع استدارت إليه في ثؤدة وقالت :

-- أهذا أنت يا وخيل إليه أنه يعرف ذلك الوجه . وجعل يفكر أين رآه من قبل ... ولكنها قطعت عاياه جبل تفكيره قائلة :

— إنك لم تحدثني عن هذا التوت اللذيذ ، لقد حدثتني فقط عن القصر والحديقة وعن النهر ، وأؤكد لك أنك لو حدثتني لادعيت أنني بتيمة وصحبك إلى هنا

— أهذه ... أهذه أنت يا سالى ؟

— لا تقل إنك لا تعرفني ، إن وجهك لم يتغير

— وأظن أن وجهك أيضاً لم يتغير كثيراً

— لقد كنت أفكر في زيارتك طوال هذه

السنين ، أفكنت تفكر في ؟

— والله ما أدري أى شيء فيها أنار إعجابك بجمالك تعلمها اليونانية واللاتينية و ثم أردف متمكماً كعادته :

— أعلمها كانت جميلة عندما عثرت بها !

وبدا الغضب في وجه كايثور ولكن آلان لم يعبأ به ومضى متابعا كلامه :

— هل ... هل ستزوجهما ؟ ... وأعقب ذلك فترة من الصمت ثم أجاب كايثور في تردد

— بالطبع هذه رغبتي منذ أنيت بها

— وهل هي تعلم ذلك ... أعنى هل فاحتها في هذا الشأن ؟

— لقد شئت وهي تعلم ذلك ولم يبق إلا أن تحدد الموعد

— يا للخجل ... وإذا كان كاميرون قد خشي أن يبدل برأيه في أول الأمر فإن صراحة آلان مع كايثور شجعتة على ذلك فتدخل في الحديث ، وظل النقاش قائماً بينهم إلى وقت متأخر من الليل

وفي صباح اليوم التالي كان الحزن بادياً على وجه كايثور . كان يشعر بأن آماله تحطمت وأن جهوده ذهبت أدراج الرياح ؛ ولم يمض طويلاً من الوقت حتى اصطدم بآلان للمرة الثانية ... فنار آلان قائلاً :

— إنها جافة الطباع ... وأظن أن الأفضل أن تتركها تمضي لسبيلها ، إن كل ما لفته إياها لم يهذب من طباعها ... إنك تعتقد أنك تحبها ، ولكن لا أظنك تحبها إلا كما يحب الفنان ما أبدعت يده

— إنك تهذى أيها الرجل ولا تفهم ما تتكلم عنه !

— بل أفهمه كل الفهم ... إنك لا تعرف إلى الآن ما هي حقيقة الحب

— كلا ... نعم نعم إننى ... فقاطعته
بخيلى إلى أنك غير متأكد من ذلك
— إن الأمر لم ينته بعد ... ولكنك فى حكم

المنتهى

— ألم تخاطبها فى ذلك ؟
— كلا ... أعنى نعم لقد ... ولكنك قاطعته
وهى تشير بيدها جهة اليمين :

ما هذه البوابة الجميلة ... دعنا نمر منها
ولم يتكلم كاشور وهو يفتح لها البوابة ، ولكنهما
عادت تقول :

— يجب أن تحدثنى عنها — أمى يتيمه ... ؟
يلوح لى أنك شديد المطف على اليتامى
وجعل كاشور يتحدثها عن أسترا إلى أن قالت
أخيراً :

— وهل هى موافقة على هذا الزواج ؟
— بالطبع إنها موافقة عليه
— إذن لماذا لم ينته الأمر بعد ؟
— إن أصدقائى يمارضون فى ذلك
— إذن هذا هو السبب ... ثم قالت وهى
تنظر فى ساعتها :

— أظن أنه آن لى أن أعود ... ودارا على
عقبهما وسارا اتجاه الباب دون أن يلفظ أحدهما بكلمة
واحدة ؛ وكانت سيارتهما واقفة فى جانب الطريق ،
وكانت مظهرها يدل على أنها حقاً خامسة أغنياء
العالم ، قالت :

— لماذا لا نأتى لزيارتنا فى لادلاو
وقبل أن يُقدّر كاشور معنى ما نطق به قال :
— الأفضل ألا أقبل . ولكنها قالت فى سرعة :
— إننا فى فندق « الثلاث ريشات »
ثم انطلقت السيارة كالسهم المارق . وهنا فقط

وأعقب ذلك فترة من الصمت ... والحقيقة
أنها لم تخطر على باله ؛ ولكنك لم يشأ أن يقول لها
ذلك . فقال :

— بالطبع يا سالى ... كنت أفكر أفيك ...
ولكن ما الذى جعلك تتذكرين زياتى الآن ؟
— إننى لم أكن فى إنجلترا بعد أن تركت
المدرسة

— وأين كنت إذن ؟
— فى الخارج ... وقد راق لنا أن نقوم
برحلة هذا الصيف فى ربوع إنجلترا ... فلما بلغنا
(لادلاو) مساء أمس وجدت قصر سانت ماري على
الخريطة فقصدت توكأ إلى هنا
— راق لنا ... راق لمن ؟

— لوالدى ووالدى ... إننى لست يتيمه
بعد ... أين النهر الذى حدثتنى عنه ؟
فقال مشيراً إلى ما وراء القصر ، فى هذه
الجهة ... أترغبين فى رؤيته ؟
— أجل ... أعطنى قبعتك فإن الشمس شديدة
الحرارة

ففعل طائماً ؛ وسارت معه فى صمت —
وبرغم أنه لم يرها إلا مرة واحدة من قبل فقد
كان يشعر نحوها شعوراً خفياً مخالفاً جد المخالفة
لذلك الذى يشعر به نحو أسترا ... ولم يساوره مثل
هذا الشعور من قبل إلا عند ما كان جالساً بجانب
سالى فى حديقة المدرسة ، قال :

— ولكن حدثينى كيف قضيت هذه السنين
الطويلة ؟

فأخذت تسرد عليه ما زارته من البلدان ،
وما طافت به من الممالك ، إلى أن قالت أخيراً —
وماذا عنك ؟ ... ألم تتزوج بعد ؟

أدرك كايثور أنه نسي قبعته

جلست السيدة كريجانت في فندق الثلاث
ريشات تنتظر ابنتها في شيء من القلق ، فقد كانت
تخشى عليها من قيادة السيارة بنفسها . وأخيراً
هتفت في سرور :
— شكر الله . . . فقد رأيت سالى وهى مقبلة
عليها من أعلى الدرج
— من أى مكان فى العالم أتيت بهذه القبعة
ياسالى ؟

— إنها قبعته

— إذن لقد قابلته

— نعم لقد قابلته . وأخذت تقص على أمها
كل شيء ، فقد كانت لا تخرى عنها خبراً ثم قالت
أخيراً :

— إننى أشعر بميل غريب إليه . ولا أعلم
لماذا يملك على مشاعرى

— ولكن ما الفائدة ما دام سيتزوج من هذه
الفتاة التى تدعى . . . ما اسمها ؟

— استرا . . . ولكن لا يمكن أن أصدق
ذلك . . . لقد رأيتها فى الحديقة قبل أن أقبله فحدث
رجلاً ذا قميص أزرق وتمده بالزواج وقد عرفتها بعد
ذلك من وصف كايثور ، أما الرجل فلم أتبين وجهه
وفى صباح اليوم التالى ظهر كايثور فى فندق
« الثلاث ريشات » . . . لقد قال إنه جاء ليسترد
قبعته . . . وكان الحزن بادياً على وجهه . ولما سأله
سالى عن السبب لم يحاول أن يكتمه عنها . . .
والحقيقة أنه كان فى حاجة إلى قلب يعطف عليه . . .
وقد وجده فى سالى . قال لها فى حزن :

— لقد حطمت استرا اليوم كل ما بنيت من

الآمال . . . على رغم كل ما بذلته فى سبيل تثقيفها ،
وبرغم كل ماضيت به فى سبيل إسعادها ، تريد اليوم
أن تزوج من رجل آخر يدعى تويننج
وبدا فى إبرائه شيء من الألم الدفين ، ولاح فى
صوته ما يحالجه من الحزن واليأس ، وظهر فى عينيه
ما تكتمهما من الدموع . . . إنه ليبدو اليأس حقاً أن
يقضى حياته فى تثقيف فتاة وتهذيبها وإعدادها
لتكون زوجة لرجل آخر . . . أخذت سالى تسمى
عنه وتحقق من وطأة حزنه ، ومن حدة ثورته ،
ثم اقترحت أن يخرجها فى زهرة قصيرة واسكن إلى
أبن ياترى ؟ . . . قال كايثور :

— أشاهدت قلعة لدلاو الأثرية ؟

— أتمنى ذلك البناء القائم فى خارج المدينة ؟
حسن . . . انتظرنى حتى أحضر قبعتى . . .

وخرجت سالى ولكنها لم تسرع باحضار
القبعة ؛ بل صعدت متباطئة وأخذت تقلم أظفارها
فى تكاسل ، ثم أبدت ثوبها ، وأكملت خطاباتها ،
وجلست صامتة ، وقد بدا السرور فى عينها . . .
وأخيراً أقبلت عليها أمها تقول :

— إن سديفك فى انتظارك أكثر من ساعة
ياسالى . . . إنك قاسية فى معاملته

— ولكنى سأزوج به

أحقاً ما تقولين ؟

ونظرت الأم إلى ابنتها فرأت الجواب فى
عينها ، فضعمتها إلى صدرها وقبلتها قبله حارة
طويلة . . . حقاً إن كايثور غير جدير بزواج خامسة
أغنياء العالم ، ولكن أميرة كريجانت كانت من
الديموقراطية بحيث لم تكن تبحث عن الجاه والمال ،
بل كانت تبحث عن سعادة بناتها

أحمد نهمى مرسى

مقدمة المؤلف :

لا بد للعدن
الكبيرة من مسارح ،
والشعوب الفاسدة من
قصص . واقدشاهدت
أخلاق عصرى ثم
قدمت هذه الرسائل
إلى النشر ؛ وليتنى
عشت فى عصر نحماني
آدابى على أن أقدمها
إلى النار !

مجلد

أو هيلويز الجديدة

لجان جاك روسو

بقلم أحمد حسن الزيات

أنت وصف الأمكنة
قد ناله التحجب البائع
فى مواضع كثيرة ، إما
لأن الكاتب يريد أن
يخدع القارى ، وإما
لأن الواصف لا يعرف
أكثر من ذلك
ذلك كل ما أريد
أن أقوله ؛ والسكل
امرى أن يفهم الأمر
على ما يشاء

لم يوضع هذا الكتاب ليسير فى الناس لأنه
لا يرضى إلا القليل منهم ؛ فالتأديون من أهل الذوق
سينفرون من أسلوبه ؛ والتزمتون من ذوى الوقار
سيقزعون من موضوعه ؛ والذين لا يمتدحون بالفضيلة
سيرون ما فيه من العواطف خارجا عن الطبيعة .
سيخطب البر والفاجر والفيلسوف ، وسيؤذى
شعور الفتاة اللعوب ، ويسوء كرامة المرأة الصالحة ؛
فليت شعري من يرضى إذن ؟ لعله لا يرضى سواي ؛
ولكن المحقق أن السخط عليه لن يقف عند حدود الوسط
إذا أمضيت النية على قراءة هذه الرسائل فأدفع
بالصبر على ما تجد فيها من أخطاء اللغة ، وشقشة
الأسلوب ، ووضع الفكرة المطروقة فى العبارة المنمقة .
قل لنفسك قبل أن تقرأ : إن الذين كتبوها لم يكونوا
فرنسيين ولا عبقرين ولا أكاديميين ولا فلاسفة ؛
وإنما هم بين ريفي وأجنبي وأليف غزلة وحديث سن .
وكلامهم أشبه بالأطفال الذين تصور لهم مخيلاتهم الشاعرة
أن من الفلاسفة ما يهذون به من برى الحديث
لم أخشى أن أجهر بما فى نفسى ؛ إن هذا

أنا - وإن كنت أحمل هنا لقب الناشر - قد
عملت بيدي فى هذا الكتاب فلا أضمر نفسى
فيه . فهل صنعتته كله ؟ وهل هذه الرسائل بأسرها
من نسج الخيال ؟ ماذا يهمكم من هذا أيها الناس ؟
إنها عندكم ولا ريب حديث مفترى
كل أمرى حر الخلال يجب عليه أن يعترف
بما ينشر من الكتب ؛ فأنا أضع اسمي على رأس
هذا الكتاب لا لأسجل ملكيته ، ولكن لأتحمل
تبعمته . فإذا كان فيه شر فالى مراجعته وعلى إيمه ، وإن
كان فيه خير فلا أبتنى من ورائه شرفا ولا نباهة
إذا كان هذا الكتاب كتاب سوء . فأنا مجبر
على استلحاقه والاعتراف به . ذلك لأنى لا أحب
أن أظهر فى عيون الناس خيرا مما أنا عليه فى الواقع
أما حقيقة الوقائع التى تدور عليها حوادث
القصة ، فأصرح بأنى ذهبت مرارا إلى بلد
الماشقين فلم يرد على سمى ذكر للبارون ديتانج
ولا لابنته ، ولا للسادة : دى ورب ، واللورد إدوارد
بومستون ، ودى ولار . كذلك أنبه القارى إلى

الجزء الأول

الرسالة الأولى

الى جوبيا

أشعر كل الشمور أن لا مناص يا آنسى من الحرب منك . ولقد كان من اللازم أن أنتظر أقل مما انتظرت ، أو بالحرى كان ينبغى ألا أراك قط . ولكن ما العمل اليوم وكيف الخلاص ؟ لقد وعدتني الصداقة ؛ فانظري إلى اضطرابي ، وفكري في حقيقة ما بي ، ثم أشيري عليّ

تلميذ أنى لم أدخل بيتكم إلا عن دعوة من السيدة والدتك . علمت أنى تقف بعض مواهب ثقافة محدودة ، فرأت من المفيد في بلد يعوزه المعلمون أن تستخدم هذه المواهب في تربية ابنتها التي تعبد بها . وأنا بدورى قد زهاتى أن أزين هذا الجمال الطبيعى البالغ ببعض الأزهار ، فخرت على أن أتعهد بهذه العناية المخطرة دون أن أتسلف النظر إلى ما فيها من الخطر ، أو على الأقل دون أن أقف من خطرهما على حذر . لن أقول لك إنى بدأت أؤدى ثمن جرأتى ؛ فانى آمل ألا أذهل عن واجبي فأنقل عليك بحديث لا يليق بسمعك ولا بلبثكم مع طبيبك ، وأن أقصر عن الاحترام الذى يجب لخلقك وكمالك ، كثير مما يجب لمحدثك وجمالك . أما إذا تأملت فمزأتى على الأقل أنى أنألم وحدى . لا أريد سمادة تشكفها سماداتك

على أنى مع ذلك أراك كل يوم ، وأشعر أنك من غير قصد ولا فكر تضاعفين آلاماً لا تستطيعين أن تشتكيها ، ولا ينبغى لك أن تعلميها من الحق أنى أعلم الرأى الذى تمليه الفطنة في مثل هذه الحال لا الأمل ؛ ولو استطعت أن أوفق

الكتاب على لهجته الغوطية أقرب إلى نفع النساء من كتب الفلاسفة . بل لعله يفيد أولئك اللاتي لا زلن يحتفظن بأثارة من حب الصلاح والزهادة وهن يحيين حياتهن المضطربة المهوشة . أما أثره في الفتيات فذلك أمر آخر ، إن الفتاة المغيفة لم تقرأ قصة قط ؛ ولقد وضعت لهذه القصة عنواناً ينبيه القارىء وهو يفتحه إلى طبيعة الكتاب الذى يريد أن يقرأه . فالفتاة التي تجرؤ على أن تقرأ منه صفحة واحدة على الرغم من هذا العنوان هي فتاة خاسرة . وليس لها أن تمزق خمارها إلى هذا الكتاب ، فإن اللداء قد خاسرها من قبله . فن بدأت منهن القراءة فلتنمها ؛ فليس بعد ذلك في نفسها ما تحسره ، ولا في هذا الكتاب ما تحذره

إن الزاهد المتحش إذا قرأ الجزء الأول من هذا الكتاب فامتعض ثم رماء وانفجر بالحق على ناشره ، لا أعيب إسرائفه ولا أشكو ظلمه ؛ ولو كنت مكانه لما فمت غير ذلك . ولكنه إذا قرأه كله ثم جرؤ بعد ذلك أن يمدانى على نشره ، فليقل ذلك — إن شاء — لكل ذى سمع من الناس ما عداى ؛ فانى لأستطيع أن أجمل نفسى على احترام مثل هذا الرجل

أذهبوا أيها الكرام الذين أحببت العيش فيهم وحدث الخلاط بهم أنتم أيها الذين واسوني على سبائب اللثام وشتائم الفجرة : اذهبوا بعيداً فابحثوا عن أمثالكم . فروا من المدن فإن مجدوم فيها . اذهبوا إلى الخلوات المتواضعة فآسوا زوجين مخلصين تتوثق بينهما وبينكم الألفة ، ورجلاً ساذجاً حساساً يجد في طبيعه الميل لما أنتم عابيه ، ومنعزلاً عن الناس متبرماً بالعالم يلومكم على أخطائكم وخطاياكم ثم يقول مع ذلك في حنان وعطف : « هذه هي النفوس التي لا بد منها لنفسى ! »

في هذه الفرصة بين الفطنة وبين الاعتبار المناسب
لحلت نفسي على اتخاذها ؛ ولكن كيف أجد الوجه
الوجيه لأن أترك بيتك ربته هي نفسها التي فنحت
لي فناءه ، وأعدفت على آلهه ، ورأت في بعض
الفناء لأعز شيء عليها في العالم ؛ كيف أحرم
ذلك الأم الحنون سرورها بأن تفجأ زوجها
ذات يوم بتقدمك في الدروس ، وهي إنما أخفت
عنه خبره لهذه الغاية ؛ أبتني أن أفارقها على هذا
الوجه الرذول دون أن أقول لها شيئاً ؛ أيجب
أن أصرح لها بموضوع اعتزالي ؛ أليس في هذا
التصریح نفسه إهانة لها من رجل لا يحجز له مقام
أمرته ولا طيبة ثروته أن بمقد أسباب رجائه بك ؟
أمالأ أرى يا آنسى غير وسيلة واحدة للخروج
من المأزق الذى أنا فيه : تلك الوسيلة هي أن اليد
التي ألفتني فيه تتشلتني منه - ليأتني من قبلك
العذاب كما يأتيني الخطأ . فأشعرى قلبك الرحمة لي
واحطرى على الوجود في محضرك . أطلبي أهلك على
كتابي . أغلق بابك من دوني . اطرديني على الوجه
الذى تحبين ، فاني أحتمل كل شيء ولا أستطيع
من تلقاء نفسي الفرار منك

أنت ، نطرديني ؛ أنا ، أهرب منك ؛
ولماذا ؛ أمن الاجرام أن يكون المرء حساساً
بالفضل ، وأن يحب ما يجب على كل امرئ أن
يحبه ؛ لا يا جواباً ؛ إن جاذبيتك بهرت عيني ،
وما كانت لتزيع قلبي لولا الجاذبية الأقوى التي
تجسيها وتذكها ؛ تلك الجاذبية هي اجتماع
الحساسة القوية بالمعذوبة الصافية ؛ هي ذلك الرئاء
الحنون لآلام الناس ؛ هي ذلك الذهن المستقيم وذلك
الدوق السليم اللذان يستمدان تقاهما من تقاه
النفوس ؛ هي على الجملة سحر العواطف ، وهو أقوى
من سحر الشخص ، وذلك ما أعبدته فيك

أنا أسلم بأن المرء يستطيع أن يتخيلك أروع
جمالاً من جمالك ، ولكن من المحال أن يتخيلك
أجدر بالحب وأخلق بالرجل الفاضل مما أنت عليه
أجرؤ أحياناً على أن أزعج وأزعم بأن الله
جمل بين حسينا وذوقينا وعمرينا مطابقة خفية .
فنحن ما نزال في زهرة الصبي ، فيول الطبيعة فينا
لا تتغير ، وأهواؤنا لا يبعد أن تتفق

أقد رأينا قبل أن نكتسى الزى الوحيد العتيد
للعالم أن لنا طريقة واحدة في الحس والنظر ، فلم
لا أجرؤ على أن أتخيل أن ذلك الانسجام الذى أراه
بين أحكامنا هو بين قلبينا كذلك ؛ إن من نظراتنا
أحياناً ما يتلاقى ، وإن من زفراتنا ما يصمد في وقت
واحد ، وإن من عبراتنا المواربة ...

آه يا جوليا ؛ لو أن هذا التوافق صادر عن
بعيد .. لو أن الله سخر لنا .. جميع القوة البشرية ..
آه عفواً ؛ أقدضلت لحسبت رغائبي آمالاً . إن
حرارة رغباتي أغارت موضوعها الأماكن الذى يموزه
إني أبصر في خيفة ورعب ما يتأهب له قلبي
من العذاب والألم . لا أحاول أن أغلق ألى ؛ ولو كان
في وسعي أن أكرهه لسكرهته . احكمى على عواطفى
إن كانت نقية أو مشوبة بنوع العفو الذى طلبته
منك . أغضى إذا استطعت منبع السم الذى يحبيني
ويعبتني ، فلا أبتنى غير أن أحيأ أو أن أموت
أنا أضرع إلى قسوتك كما بضرع عاشق
إلى رحمتك

أجل لقد وعدت . وأقسم لأبذل الجهد الجهد
في استرجاع ما غرب من عقلى ، وترسيب هذا الرنق
الوليد في قرارة نفسي . ولكن رحماك ؛ حوّل
عنى هذه العين الوديمة التي تشع على الموت .
واستري عن عيني قساوتك وحركاتك وهذتك
وذراعتك ويدبك وشعرك الأشقر . اخدعي غداوة

درس لولا فطنتك وحكمتك لما استطعت أن تتبعيه .
كذلك هذا التفاوت الذي تتكلفينه في طبعك
ومظهرك بنقلب مضرة على وعلى . إنك تؤذيني
بهذا القلب ، ثم لا أستطيع أن أتصور الباعث
الذي يخرجك عما عهدت فيك من رصانة العقل .
هل لي أن أسألك لماذا تكونين لموباً صريحة في
الجمع ، ووقورة محتشمة في الخلوة ؟ لقد كنت أرى
أن الأمر يجب أن يسير على النقيض ، وأنت لا بد
تصورين قسماً وجهك على نسبة عدد الحضور ؛
ولكني أراك بدل أن تفعل ذلك تعاملينني على حال
مطرده من التردد والاضطراب ، فتصطنعين اللجة
المستكافة بيني وبينك ، واللهجة المنبسطة بيننا وبين
الناس . ساوى بيني وبين غيري في حديثك
ووجهك ، فلم يبدلك أكون أخف المأ وأقل لوعة
إذا كانت الرحمة الطبيعية التي آثر الله بها
النفوس المسبية الحرة تمطف قلبك على شقاء
هذا البائس الذي تظهرين له بعض انتجلة ، فان بعض
التغيير في معاملتك إياه يخفف من ثقل مصابه ،
وبعينه على احتمال صمته وعذابه . وإذا كانت
حصانة صدره وحرج أمره لا يبلغان موضع الرأفة
من نفسك فتريدني أن تتوسلى بالحق إلى إهلاكه ،
فإنك تستطيعين أن تفعلين ولن تجديني إلا صابراً
لا يشكو ، وسأكتأ لا يئن ؛ انه يؤثر أن يهلكه
أمرك ، على أن يهلكه فورة طائشة نجعله أنيماً في
نظرك . وآخر القول أن لك أن تمحكي في أمري
وتتصرف في مصيري ، ولي أن أقول إني واضح وجهي
المعتر في أن أرتب في نفسي هذا الأمل الجريء ؛
وإذا قرأت هذه الرسالة فقد فعلت كل ما أريد أن
أطلبه منك ؛ على أنني لم أطلب شيئاً يجوز عليه
الرفض حتى أخشاه

(الربات)

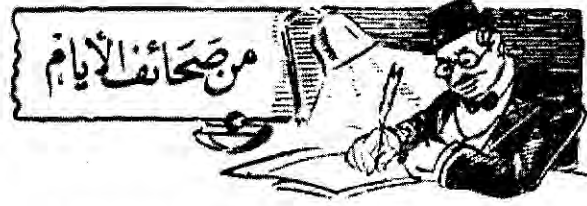
(يتبع)

نظراتي الرغبة . احبسي ذلك الصوت الأخاذ بالقلب
فلا يسمعه سامع حتى يتأثر . كوني مخلوقة أخرى
لا يستطيع قلبي أن يبق إلى نفسه

أقولها لك من غير موارد ؛ إنك في الألعاب
التي يقتضيها فراغ الأمسية ، ترسلين نفسك أمام
جميع الناس على ألفية شديدة الأثر على النفس ،
فلا تكونين متى أشد احتشاماً واحتياطاً منك مع
غيري . أقرب الأيام أمس ؛ كنت على وشك أن
تدعيني أن أقبلك عقاباً على مخالفة النظام في اللعب ،
فقاومت مقاومة خفيفة ضعيفة ، ولكنني لحسن
الحظ تحاشيت أن أصر . ثم أدركت أن اضطرابي
الذي كان يزيد ويزيد سيُشفى بي على الحسارة
فأمسكت عن اللعب . آه لو كنت استطعت على
الأقل أن أستمتع بهذه القبلة على هواي ! إذن
لكانت آخر أنفاسي وآت وأنا أسمع الناس !

ناشدتك الله إلا ما تركت هذه الألعاب ،
فقد تكون لها عواقب وخيمة . كلا يا جوليا ، كل
إنسان له خطره : من الخطر الذي لا حيلة فيه إلى
الخطر الذي لا وزن له . إني أضطرب كلما است
يدي في اللعب يدك . ولا أدري كيف يتفق أن
ألقاها دائماً ؛ فلم تكذب تقع على يدي حتى تستقاني
رعدة ويمتدني ذهول . إن اللعب يمسني بالحمي ،
أو بالحرى بصيبي بالهذيان ؛ فأنا لا أبصر ولا أشعر ،
وفي هذه اللحظة المحبولة لا أدري ماذا أقول
ولا كيف أقول ولا أين أختفي !

وفي ساعة القراءة أجد ضرراً آخر : إذا رأيتك
لحظة من غير أمك أو ابنة عمك تكسرت معارف
وجهك فجأة ؛ ثم اتخذت هيئة الجد واصطنعت
لهجة الفتور حتى يسابني احتراي إياك ، وخوف
من عدم رضاك ، حضور البديهة وقوة الحكم ،
فأغمرهم في اضطراب ومشقة ببعض الكلمات من



يَوْمٌ أَنَا فِي الْإِرْيَافِ

لِلأُسْتَاذِ تَوْفِيقِ الْحَكِيمِ

« لماذا أدون حياتي في يوميات ؟ لأنها حياة هنيئة ؟ كلا ! إن صاحب الحياة الهنيئة لا يدونها ، إنما يحياها . إنني أعيش مع الجريحة في أصفاد واحدة . إنها ربي وذوحي أطالع وجهها في كل يوم ، ولا أستطيع أن أحادثها على انفراد . هنا في هذه اليوميات أملك الكلام عنها ، وعن نفسي ، وعن الكائنات جميعاً . أيتها الصفحات التي لن تنقر ! ما أنت إلا نافذة مفتوحة أطلق منها حريتي في ساعات الضيق ! »

١١ أكتوبر سنة . .

أويت إلى فراشي البارحة مبكراً ؛ فلقد شعرت بالتهاب الحلق ، وهو مرض يزورني الآن من حين إلى حين . فعصبت على رقبتى خرقه من الصوف ، وعمرت بقطع من الجبن العتيق مصائد الفيران الثلاث ، ونصبته حول سريري كما تنصب الألغام الواقية حول سفينة من سفن الصليب الأحمر ، وأطفأت مصباح النفط وأغمضت عيني وأنا أسأل الله أن ينيم الغرائز البشرية في هذا « المركز » بضع ساعات ، فلا تحدث جناية تستوجب قيامي ليلاً وأنا على هذه الحال . فلم أكد أضع رأسي على المخدة حتى كنت حجباً ملقاً ، إلى أن حركتني صوت الخفير يضرب الباب ضرباً شديداً ، وينادي خادمي صائحاً : « اصح يا دسوقي ! » فعلمت أن جناية وقعت ،

وأن الغرائز لم تنم لأنني أردت أنا أن أنام . فهضت لوقتي وأشعلت المصباح ، ودخل على خادمي يفرك عينيه بيد ويقدم إليّ بالأخرى (إشارة تلفونية) ، فأدريت الورقة من الضوء وقرأت : « الليلة ؛ الساعة ٨ مساءً ، بينما كان المدعو قمر الدولة علوان ماشياً على الجسر بالقرب من « دابر » الناحية أطلق عليه عيار ناري من زراعة قصب ، والفاعل مجهول ، وبسؤال المصاب لم يعط منطقاً وحالته سيئة ، لزم الاخطار » « العمدة »

فقلت في نفسي : لا بأس ، تلك حادثة بسيطة تستغرق مني على الأكثر ساعتين ؛ فالضارب مجهول ، والمضروب لا يتكلم ولا يثرثر ، والشهود ولا ريب : الخفير النظامي الذي سمع صوت العيار فذهب إليه خائفاً متباطئاً فلم يجد بالطبع أحداً في انتظاره غير الجثة الطريجة ، والعمدة الذي سينعم لي خائفاً بالطلاق أن الجاني ليس من أهل الناحية ، ثم أهل الجنى عليه الذين سيكتمون عني كل شيء .

« وحياء رأس سعادة البك كان لابساً ... » . ولم أر ضرورة للتحقيق في هذه المسألة ، فالأمر لا يخرج عن اثنين : إما أن الحفير لا يعرف القميص من اللباس وهو شيء غير مستغرب ، وإما أن سعيد افندى قد عاد فخلع قميصه ونأم من جديد ، وهو شيء أيضاً غير مستغرب . وما دمت أنا وحدي المسئول رسمياً عن التأخير ، فلا نفع إذن من صياحي مع سعيد افندى غير تصديق رأسي ، وأنا أحوج الناس إلى الراحة الليلية ، وإلى توفير الجهد والكلام للقضية الحقيقية التي من أجلها نتجشم ما نتجشم . ولم يلبث الفتور أن دب في أعضائي ، فأسندت رأسي إلى ركن السيارة وقلت لمن معي : « محل الحادث على بعد ثلاثين كيلومترا ، فلا بأس من أن أنفس مسافة الطريق » وأغمضت عيني ، وتحركت سيارتنا وخلفها « البوكس فورد » وبه الكاتب والمعاون والباشجاويش والمساكر . وما كدنا نخرج إلى الطريق الزراعية حتى سمعنا صوت غناء في جوف الليل ، فأخرج الأمور رأسه من النافذة في الحال وصاح : يا حضرة معاون : نسينا الشيخ عصفور . ووقفت القافلة ؛ وإذا الصوت يخرج واضحاً من دغل « بوس » على حافة غيط :

... ورمش عين الحبيبة يفرش على فدان ...

فأسرع معاون منادياً : « اطلع يا شيخ عصفور . حادثة ! » فظهر ذلك الرجل العجيب الذي يهيم على وجهه بالليل والنهار ، لا يعرف النوم ، يعني عين الأغنية ، ويلفظ كلمات ، ويلقي بتنبؤات ، يصني إليها الناس ؛ ذلك الرجل الذي لا يفرحه شيء مثل خروجه إلى الحوادث مع النيابة والبوليس ؛ فهو يسمع عن بعد بوق « البوكس فورد » ويتبعه

ليثأروا لأنفسهم بأيديهم . فسألت خادمي عن الساعة وكتبت في ذيل الورقة : « وردت الساعة العاشرة ، وقامون لضبط الواقعة » وقلت من فوري إلى ثيابي فارتديتها على عجل كما يصنع رجال المطافي ، وأرسلت في طلب كاتب التحقيق وسيارة النيابة ، وأوفدت من يوقظ مساعدتي الجديد وهو شاب رقيق الحاشية حديث عهد بالعمل ، كان قد أوصاني أن أستصحبه في الوقائع ليكتسب الخبرة والمران . ولم ألبث أن سمعت يبابي بوق سيارة المركز « البوكس فورد » بها المأمور ومعاون الإدارة وبمض الجنود . فنزلت إليهم فوجدت كل شيء قد أعد ولا ينقصنا الا كاتب التحقيق ، فلم أعجب . لأنني ما أبطأت يوماً في القيام إلى واقعة إلا كان السبب كاتب التحقيق ، في أي بلد كان ، وفي أي مركز . والتفت إلى الحفير وقالت : « أنت متأكد أنك ناديت سعيد افندى ؟ » فسمعت في الظلام صوت الحذاء الضخم يضرب الأرض ، ولحت يداً ترتفع بالتحية العسكرية فوق (اللبدة) الطويلة ذات الرقعة النحاسية ، وفماً يتحرك تحت شارب أسود كبير كأنه ذئب القط : « لبس القميص قدامي يا سعادة البك ! » . ورأينا أن نطلق بسياراتنا فنمر بمنزل الكاتب فنستصحبه . فركبت أنا ومساعدتي والمأمور وسيارة النيابة حتى بلغنا منزلاً قديماً في طرف البلدة . فصاح الحفير وكان قد تعلق بسلم السيارة ليدلنا على الطريق : « إنزل يا سعيد افندى . » فأطل الكاتب من نافذة قصية وهو في جلباب النوم : « حادثة ؟ » فصاح الحفير : « حادثة ضرب نار . » وما أشعر عندئذ إلا بيد المأمور قد خرجت من نافذة السيارة ونزلت على قفا الحفير : « يا خفير يا ابن ... لبس القميص قدامك يا ابن ال ... » .

وانتهت على وقوف السيارة بعد زمن ليس بالقصير ،
 ففتحت عيني فاذا نحن أمام ترعة وإذا
 « المديّة » في انتظارنا لتنقلنا إلى الضفة الأخرى . فنزلنا
 جميعاً وامتلاًبنا القارب كأننا غرق في زورق النجاة ،
 أو « أزيار » من الفخار في مركب بالصعيد .
 وسارت بنا « المديّة » حتى بلغت الشاطئ الآخر
 ونحن لا نسمع في سكون الليل العميق غير سلاسلها
 تضرب الماء ، ولا نرى من حلك الظلام شيئاً . ولم
 تكد تظاً أقدامنا البر حتى سمعنا صهيل خيل ؛ وإذا
 أمامنا « الركائب » من خيول « نقطة البوليس »
 وحمر العمدة ، مهيأة لملنا إلى مكان الحادث . وآه
 من الخيول ! لقد تقدم إلى أحد الجنود بجواد
 مطهم إجلالاً لقدرى . ورأيت هذا الحصان
 يتبختر ويفحص الأرض بحوافره ، ولا يصبر على
 الهدوء حتى أعتلى ظهره ، فعلمت أنى لا محالة واقع
 على الأرض . ولطالما كدت أقع من فوق تلك
 الظهور اللابة التي لا يحكمها غير فارس بارع ،
 لا راكب نائم . ولطالما فضلت عليها الحمر الهادئة ؛
 غير أنى نظرت خلفي فاذا أكبر القافلة قد امتطوا
 الخيول ولم تبق الحمر إلا للأوباش ؛ فخجلت أن
 أنزل عن جوادى وأن أحاذى في المرتبة الشيخ
 عصفور ، وقد اعتلى حملاً أشهب وخزه بصولجانه
 الأخضر فانطلق به في ذيل الجياد . أسأمت أمرى
 لله ، وسرت في المقدمة قائداً مترنحاً من الخوف
 والتعب ؛ إلى أن ظفر النوم بجفونى فلم أشعر بشيء .
 وخجأة وجدت جسمي قد طار من فوق الجواد
 ووقع على عنقه ! فقد قفز الحصان في قناة ماء قفزة
 شديدة خلعتنى من فوق ظهره خلعاً . فقلت :
 « ما حسبه لقيناه ! » وصحت بالخفير الملحق بركابى :
 « الحصان يا خفير ! الحصان ! » . فوقف الركب واختل

أيما ذهب كالكلب الذى يتبع سيده إلى الصيد .
 لماذا كل هذا ؟ طالما سألت نفسى : ألا يكون لهذا
 الرجل سر ؟ . ودنا الرجل من « البوكس » قائلاً
 فى شبه احتجاج :

— كنتم طالعين من غيرى ... ؟

فأجابه الباشجاويش باسمًا :

— أبدأ : لو كننا نعرف عنوانك لبلغناك

الأشارة

فقال الرجل :

— طيب . هات سيجارة

فغمزه الباشجاويش سريعاً وقال له فى صوت

خافض :

— اسكت ، يسمعك البك المأمور

فقال الشيخ عصفور :

— هات سيجارة يا حضرة الباشجاويش ،

لأنى أنا الليلة « باشخرمان »

وصعد الرجل إلى « البوكس فورد » كأنه

يصعد إلى « رولز رويس » بعد أن انتزع من

الدغل عوداً أخضر حمداً فى يده كالصولجان .

وانطلقت السيارة بين المزارع وقد نامت الطبيعة

وسكنت الأصوات ، إلا من نقيق الضفادع ، وهفيف

الحشرات ، وتفريد الشيخ عصفور التصاعد من

جوف « البوكس » . وقد أغفيت أنا أيضاً إغفاءً فى

التي اعتدتها كلما ركبت إلى واقعة ، إغفاءً متقطعة

لا تمنعني أحياناً من سماع ما يدور حولى من الكلام .

وكان مساعدي إلى يسارى متيقظاً يبدو عليه العجب

ويريد أن يسأل عن كل شيء فيمنعه الخوف من

إزعاجى . فالتفت إلى المأمور بجواره ؛ وسرعان

ما اشتبك فى حديث طويل لم أع منه شيئاً كثيراً ،

فهو وحده الذى أنامنى النوم العميق طول الطريق ،

النظام ؛ وأوسع المأمور رجاله شتاً و صيفاً وأصراً
 ونهياً . وأعادوني إلى ظهر جوادى وأنا أقول
 لأدارى خجلى : يظهر أن الحصان نام وهو ماش ،
 أو خاف من ثعلب فأرّج جمع . على كل حال أمسك
 اللجام يا خفير . فأمسك خفيران اللجام ومشيا بي
 رويداً رويداً مشية هادئة متزنة أعادت إلى نفسى
 هجوعها ، فلم أصح إلا فى مكان الواقعة . وأبصرت
 ضوء المصابيح والمشاغل فى أيدي الأهالى المجتمعين
 حول المصاب . . . فطار التعب من رأسى كما تطير
 البوم من وكرها على الضوء المقرب . وأسرعت
 فى النزول من فوق صهوة الجواد وشققت طريقاً بين
 الناس الذين هتفوا فى صوت خافت : « النياية
 حضرت » . ودنوت من ذلك الجسم الممدد على
 الأرض ، وحدثت فى ذلك الوجه العفر بالتراب والدم ،
 فعلمت أنه حقيقة لن ينكلم . وقد وجدت ملاحظ
 « النقطة » غارقاً لأذنيه فى تحرير « محضره » الذى
 سأضرب به عرض الحائط ؛ فالنياية متى حضرت
 بحثت كل شئ من جديد . وبأشرنا التحقيق
 مفتحين بمحضر الماينة ، فأمسك الكاتب ورقة
 وقلماً ودنا منى فأملت عليه الديباجة المعروفة : « نحن
 فلان وكيل النياية ومعنا فلان كاتب التحقيق .
 الليلة الساعة كذا وردت إلينا الإشارة التليفونية
 رقم كذا ونصها كذا . وعليه قمنا بسيارة إلى ناحية
 كذا ، فبلغناها ساعة افتتاح هذا المحضر الخ . »
 ذلك أنى أحب دائماً أن أعنى بتحرير « محضرى »
 وأن أجعله مرتباً ترتيباً منطقياً . والمحضر هو كل
 شئ فى نظر أولى الأمر . وهو وحده الشهادة
 الناطقة للنائب بالدقة والبراعة . أما ضبط الجانى
 فأمر لا يسأل عنه أحد . وبلى « الديباجة » وصف
 الأصابة والملابس والموضع الذى وجد فيه الجنى عليه

فما قصرنا . وأملت على الكاتب أوصاف ذلك
 الجرح النارى الذى رأينا ثقبه المتسع فى كتف
 المصاب . وقد حدث فيما أرى من « حشار »
 بندقية أطلقت على بعد غير كبير فهتكت اللحم
 وأزفت الدم . وقد وصفنا الوجه خير وصف . وهو
 لرجل قارب الأربعين وسيم قسيم : تلك الوسامة
 الريفية بما فيها من رجولة وصحة وقوة . ولم يفتنا ذكر
 وشم العصفور المرسوم فى أعلى صدغه ، ولا لون
 شارب المصاب إلى الصفرة ، والثياب أحصيناها من
 « الدفية » والجلباب الغزلى وكيس النقود الذى لم
 يس ، إلى السروال « البقعة » الأبيض ذى التكة الحمراء .
 نعم ، لم ننس تكة اللباس ونوع نسيجها ، فإن
 ذكر التفاصيل دليل على الدقة والعناية . هكذا تعلمنا
 التحقيق كائناً عن كائناً : وأذكر أنى تركت ذات
 مرة جريحاً يعالج سكرات الموت ، وجعلت أصف
 سرواله ونكته و « بلفته » و « لبدته » ، فلما فرغت
 انحنيت على المصاب أسأله عن المعتدى عليه ، فإذا
 بالمصاب قد توفى . ولم ننس وصف المكان ، وهو
 طريق ضيق بين مزارع قصب على الجانبين .
 ولا عجب ، فإن لكل نوع من الزرع محصوله من
 الجرائم : فمع ارتفاع الذرة والقصب يبدأ موسم
 « القتل بالميار » ، ومع اصفرار القمح والشعير
 يظهر الحريق « بالجاز والقوالم » ، ومع اخضرار
 القطن يكثر « التقليع والأنلاف » . وانتهينا من
 الجريح المحتضر ، ولم يعد يهمنا أمره بعد أن ملأنا
 « محضرنا » بأوصافه ؛ فتركناه فى دمه تحت رعاية
 ضابط « النقطة » حتى يأتى لملحه إلى المستشفى رجال
 الأسعاف . وذهبنا إلى « دوار » العمدة حيث
 كانت فى انتظارنا القهوة . وآه من قهوة « العمدة »
 إنى أسميها دائماً « الكلوروفر » ؛ فما من مرة

— عيارين يا سعادة البك

— متأكد؟

— عيارين يا سعادة البك

هنا ثقل التحقيق وسماجة المهنة . أفهم أن يكذب المتهم ، فهو حقه الطبيعي ؛ وما أطمع قط أن يصند قني متهم . ولكن الشاهد ، ماذا يحمله على أن ياتي على وجه الحقيقة كدفاً من التشكيك والتناقض ، لوجه الله تعالى ... ؟

ومضى التحقيق في شعاب مظلمة لا أمل معها في الوصول إلى شيء . فما من أحد يعرف الجاني ؛ وما من أحد يتهم أحداً ؛ وما من أهل للمضروب في هذا البلد غير أم عجوز مريضة كسيحة ضعيفة البصر لا تستطيع الكلام ، وغير زوجة ماتت منذ عامين وتركت طفلاً صغيراً لا يصلح للوقوف أمامنا في موقف السؤال . وما من أحد يدلي بتعليل معقول أو غير معقول لهذا الحادث . وما من أحد يعرف أن بين العباب وبين إنسان على وجه البسيطة عداوة أدت إلى ارتكاب الجريمة . أهبط إذن شيطان من الجحيم فأطلق على الرجل العيار ؟ لا أحد يدري . لقد وجدت ما حسبت . إني منذ قرأت « الإشارة » أدركت أن القضية ميتة . وهل أستطيع أنا « بتحقيق » أن أبحث الحياة فيما لا حياة فيه ؟ إن لم يقبل على الشهود بالصدق ، وتعاوني الأهالي بالرغبة والاخلاص ، فأى « محضر » في الوجود يوصلني إلى التشرف مرة بمعرفة جان من الجناة ؟ وجاءت نوبة العمدة في الشهادة ، وحلف اليمين وبدأنا نناق تلك الأسئلة التي لا تقدم ولا تؤخر ... وإذا بنعطيط يملو من ركن الحجرة وينطى على التحقيق . فالتفت فاذا بالمأمور قد « كوع » على « الكنية » ؛ ورأى العمدة هذه الالتفاتة مني ، فاستأذني وأبجه إلى

إلا أحدثت عندي عكس المقصود من شربها ؛ ولست أدري العلة ؛ غير أنني سمعت ذات ليلة عمدة من هؤلاء العمدة يصيح في تابعه أمامنا : « هات يا ولد قهوة بن » ، ولم أفهم وقتذاك معنى لأضافة لفظ « البن » إلى « القهوة » ؛ أتري النص على البن « صراحة » جاء من قبيل التأكيد ، أم على سبيل التشريف والتكريم ؟ لست أعلم . إنما الذي علمته يومئذ واستوثقت منه أن هذا « اللفظ » الأخير وإن دخل في تركيب الجملة ، لم يدخل في تركيب القهوة . وجلسنا في « النظرة » على فرش من قطيفة ذهب وبرها ولونها ؛ ووضع السكاكب أوراقه على خوان أعرج ، تملوه رخامة مكسورة ، ونشر المحضر « تحت » مصباح كبير له دوى وطنين قد جمع حوله هوام الليل ؛ وصحت : أطلب الشهود . فصاح المأمور لصياحي : « اجمع الشهود يا حضرة معاون » . وارتدى على مقعد رجب في ركن الحجرة ارتعاء أدركت معها أن ليس بعدها غير نفاث وغطيط . وجلس مساعدي على مقربة مني يرمق ما يجري بعيون قائرة ثم عن كسل بدأ يداعبها مداعبة النسيم للأوراق . وجاءني بالخفير النظامي الذي سمع صوت العيار وهرع إلى مكان الجريمة أول من هرع . فلم يخيب ظني في شيء إلا في قوله إنه سمع عيارين ، مع أن الوارد في « الإشارة » عيار واحد ، والأصابة من عيار واحد ، وأقوال الحاضرين متفقة على أنه لم يدر في القرية سوى عيار واحد . ما حظ هذا الرجل من الكذب ؟ لست أدري . وتركنا جوهر القضية وانصرفنا إلى مسألة العيار والعيارين . فسألنا الجميع من جديد فأجابوا مجمعين : عيار واحد يا سعادة البك

— سمعت يا خفير ...

المأمور وأيقظه في لطف :

— تفضل يا بك على السرير في القاعة

وقاده في أدب ولطف إلى حجرة أخرى داخلية .
ثم عاد أُمَامِي يدلي بما عتده من أقوال رسمية « تجارية »
قد دمغت بطابع الوظيفة ؛ ألفاظها وعباراتها تكاد
لا تتغير بين عمدة وآخر . وهي على كل حال لا تنفع
ولا تضر ، وتلقى على ناز الحادّ برداً وسلاماً .
ولم يكد حضرة العمدة يوقع بامضائه الذي يضاهي نبش
الدجاج تحت أقواله ، ويتنحى عن موقف الشهادة ،
حتى فتح باب الحجرة الداخلية وظهر المأمور وهو
يحك جسمه بأظافره ويلتقط بأصابعه أشياء على
ملابسه ينفضها عنه ، وهو يرغى ويزبد :

— سرير ! أعوذ بالله ! أنت عمدة أنت ... ؟

فعلت ما حدث بالتمام . وضحكت في نفسى .
وتظاهرت بالانهماك في عملى فلم أرفع وجهى عن
الأوراق . وجلس المأمور في مقعده جلسة من قد
ذهب النوم من عينيه ذهاباً لا رجعة له تلك الليلة .
ولم يلبث أن صاح في العمدة :

— هات قهوة والسلام . اعملها موزونة وحياة

عينيك

ثم وجه إلى الكلام كأنه يريد أن يسلى سهره :

— القضية على الحبل ؟

وهو يرى بهذا الاصطلاح إلى استطلاع حال
القضية ، ومدى نجاحها النجاح الذى يؤهلها
للذهاب برأس المتهم إلى الشنقة . فأجيبته في صوت
غير مرتفع دون أن أنظر إليه وكأننى أخطب
نفسى :

— القضية على السرير !

ولجأة نهض المأمور عن مكانه كأنما قد تذكر

مفتاح السر وصاح :

— يا شيخ عصفور :

فبرز رأس الرجل العجيب من خلف كرسي
من القش بركن مظلم من أركان القاعة ونهض
بصولجانه الأخضر كأنه يقول : « لبيك »

— رأيك يا شيخ عصفور ؟

فلم أطلق صبراً . ما كان ينقصنا حقاً إلا أن
نستشير العتوهين في قضايا الجنائيات ! فنظرت إلى
المأمور نظرة ذات معنى ، فاقترب منى وقال :

— الشيخ عصفور كله بركة . مرة دننا على

بندقية منهم مدفونة في قاع التربة !

— يا حضرة المأمور بدلا من سؤال الشيخ

عصفور والشيخ طرطور كلف خاطرك وانتقل
مع المعاون والعساكر وفتشوا دور المشتبه فيهم
من الأهالى

فصاح المأمور :

— يا حضرة المعاون !

فأقبل المعاون من خارج الحجرة وقد سمع
قولى ، وقدم إلى رئيسه « محضر تفتيش من
قسيمة واحدة » :

— أجريتنا التفتيش يا فندم !

فلم ينظر فيه المأمور وناولنى إياه ، فجريت
ببصرى على الكلام الطويل العريض وانتهيت إلى
العبارة المألوفة : « ... ولم نعث على شيء من
الأسلحة أو الممنوعات . »

فأشرت في ذيل الورقة : « يرفق بالمحضر » ،
ووضعت رأسى في كفى أفكر فيما ينبغى عمله في هذه
القضية ، وفيمن ينبغى سؤالهم حتى نكمل محضرنا
عشرين صفحة على الأقل . ذلك أنى ما زلت أذكر
كلمة رئيس النيابة يوماً لى وقد تناول محضرا فى
عشر صفحات :

فأجاب في براءة الطفل وسذاجة الأبله :

— الولد في حضن البنت !

— أى بنت ؟

— البنت ، أخت المرحومة امراته

— بنت كبيرة ؟

— « عيّلة »

فنظرت إلى المعاون وأمرته أن يحضر هذه البنت في الحال . ولم يمض قليل حتى بدت غادة في السادسة عشرة من عمرها ، لم تر عيني منذ وجودي في الريف أجمل منها وجهاً ولا أرقى قداً ؛ وقفت بعنبة الباب في لباسها الأسود الطويل كأنها دمية من الأبنوس طعمت في موضع الوجه بالعاج . وقال لها العمدة مشجعاً :

— ادخلي يا « عروسة »

فتقدمت في حياء ، واضطربت خطواتها ، إذ لم تعرف بين يدي مَنْ من الجالسين يجب عليها الوقوف . فوجهها العمدة إلى فوقفت في وجهي ورفعت إلى رمشين ... ولأول مرة يرتج على في « التحقيق » فلم أدر كيف أسألها ... ولم يرها الكاتب ، فقد كان موقفها خلف ظهره . فلما لحظ صمتي ظن بي تمعاً ، فغمس القلم في الدواة ورفع رأسه إليها وهو يسألها :

— اسمك يا بنت ... ؟

فما إن وقع بصره عليها حتى حملق فيها ولم يعد إلى الورق . ونظرت حولي فوجدت مساعدتي الناعس قد أفاق ونشط وأخذ يرمق الصبية بعينيهِ الواسعتين ؛ ونقلت بصرى إلى الأمور فإذا به الساعة في غير حاجة إلى قهوة ولا إلى بن ؛ وزحف الشيخ عصه ور حتى بلغ موطنى قديمى فألقى كالسكب ينظر إلى الفلاحة الحسناء فأغراها . حقاً إن للجمال

« مخالفة ؟ جنحة ؟ » فلما أخبرته أنها قضية

قتل صاح دهنشاً : « قضية قتل تحقق في عشر صفحات فقط ؟ قتل ! قتل رجل ! قتل نفس آدمية في عشر صفحات ؟ ! » فلما قلت له : « وإذا ضبطنا الجاني بهذه الصفحات القليلة » لم يعبأ بقولي ومضى يزن المحضر في ميزان كفه الدقيق : « من يصدق أن هذا محضر قتل رجل ؟ ! » فقلت له على الفور : « إن شاء الله في المرة القادمة تراعى الوزن ! »

مرّ بخاطري كل هذا وأنا مطرق صامت ... وإذا صوت الشيخ المتوه يرتفع في القاعة منشداً :
« فتن عن النسوان ،
تعرف سبب الاحزان ،
ورمش عين الحبيبة ،
يفرش على فدان ... »

لم أغضب على الشيخ الذي امتنن حرمة التحقيق بهذا الغناء ، ولم أطرده خارج القاعة ، ولكنني تفكرت قليلاً في مغزى كلامه لو أن له مغزى ينفعنى ... كل ما يجوز الالتفات إليه كلمة « النسوان » ، والتفتيش لا عن المشبوهين بل عن النسوان . أى نسوان ؟ إنى لم أرقضية خلت من النسوان مثل قضيتنا هذه . فالضروب يعيش وحيداً بعد أن ماتت زوجته ، ولا أحد معه غير أم عجوز كسحاء لا ينبغي أن تحسب في النساء . لا ريب أن هذا المصفور لا يعقل ما يقول . هذا الشيخ الأخضر من فصيلة البيفاء لا شك ، يردد الألفاظ والأغاني دون أن يعنى بها شيئاً من الأشياء . لكن مهلاً ! إن المعجنى عليه طفلاً . فهل تلك الأم المقعدة المربضة هي التي تعنى بشأنه ؟ « تعال يا عمدة ... » وألقيت على العمدة هذا السؤال :

والطلاب ؟ أهو غلو منه في الحرص على هئائها ؟
أهو لا يجد الزوج الكفء ؟ إنها لا تعلم حقيقة
سره . وإني أريد أن تعلم . وإن هذا ما يحيرها
أحياناً ، وما ييكبها . إنها تريد أن تعلم . تعلم
ماذا ؟ ... لا شيء . لا تستطيع التعبير ... إن
التعبير هبة لا يملكها كل الناس

وبعد فالتعبير يستوجب العلم بحقيقة الشعور
الرابض في أعماق النفس ... وهذه الفتاة فيما يحيل
إلى ذات نفس كدغل « البوص والقصب » لا يصل
إلى قاعها من الضوء غير قطع كاللناير تراقص في
ظلام القاع كلما تمايل القصب ...

على أي حال قد بدأت قطع من الضوء تنساقط
أيضاً بين سطور « المحضر » ، وبدأنا نضع أيدينا
على عصب نابض من أعصاب القضية ، وهممت
أن أطلب فنجائناً آخر من القهوة وقد طاب المجلس
وحلا التحقيق . وإذا معاون يسأل ملاحظ النقطة
وقد ظهر بالباب :

— أحضر الأسعاف ونقل المصروب ؛

— من زمان ؛

فأدركت الصبية كل شيء ، فانطلقت من فمها
سيحة كتمتها في الحال خجلاً منا ؛ غير أنني
ما شككت في أن لها دويماً وانفجاراً داخل نفسها .
وأردت أن أمضي في عملي فما وجدت أمامي غير
فتاة تجيبني بكلام أبت لا شبع فيه ولا غنى . ورأيت
أن أرجى التحقيق فقلت :

— استريح ياريم ...

ونظرت إلى المأمور :

— الأحسن أن نكمل التحقيق الصبح

فأشار إلى النافذة ، فإذا النهار يدخل منها
متلصصاً ، وقد خدعني عنه المصباح الضئيل .

لهيبة ... ورأيت أن أملك سريعاً ناصية نفسي قبل
أن ينكشف الأمر . فقلت لصاحبة الجمال وأنا
أكبح عيني حتى لا أنظر إليها :

— اسمك ؟

— ريم

لفظته في صوت ... هز نفسي كما تهز الوتر
أنامل رقيقة ، فما شككت في أن صوتي سيتهدج
إن أقيمت عليها سؤالاً آخر ، فتربثت ؛ وبدت لي
دقة الموقف وأيقنت ببطء التحقيق إذا قدر لي أن
أفك كالدأخ بين السؤال والسؤال . فاستجمعت
ما بقي عندي من شتات القوة والعزم وهجمت
بأسئلة لا أنتظر الجواب عنها إلا جملة ، وقلت لها
تكلمي في كل هذا ... ولبثت أنظر ، فعلمت منها
العجب العجيب : إنها حتى الآن لا تعلم ما جرى
للعجنى عليه : فقد أيقظوها من النوم الساعة
وجاءوا بها أمامي دون أن يذكروا لها شيئاً ؛ ولم أشأ
أن أخبرها الآن بما وقع وقد آنست منها أشياء
لا يدركها إلا مجرد الأحساس ...

سألها : ألم يخطبها خاطب ؟ فكان الجواب :

بلى ؛ آخر من تقدم إليها فتي جميل لم ترفضه ، ولكن
زوج أختها وهو في مقام وإيها تردد في القبول كما
تردد دائماً في قبول الأبدى الكثيرة التي ارتفعت
تدعوها كما ترتفع أيدي المؤمنين بالدعاء ...
« أو تحقدين عليه من أجل هذا ؟ » . فكان
الجواب كذلك : لا ، قالتها في نبرة حارة ؛ حرارة
خاصة أدركتها كذلك بأحاساسي . « وهل كان
بينك وبين الفتى الخاطب اتصال ؟ » . نعم لقد
اجتمعنا أمام الدار مرتين في لقاء برى . وقد
علم أنها لا نكرهه زوجاً ، ولكنها تكره مخالفة
وليها . وذلك الولي ما غابته من رد الخاطبين

ثم سمعت المأمور ينهر المعتوه قائلاً له : « افطن لنفسك . صاحبك غرقت في الرياح من ستين ... » ولم يكن في عقله وقتئذ غير صورة الفتاة في إطارها الأسود وسرها الذي لم أنفذ إليه بعد . إن سرها هو سر القسوة . وإني اتدفعتني إلى استجلاء الأمر رغبة لاشئان لها بالعمل . إني أيضاً أريد أن أعلم . وسارت القافلة حتى بلغت مصرفاً متسعاً عميقاً زاخراً بلقاء ، ركبت عليه خشبة من جذوع النخل في عرض الدراع . وأراد الخفير أن يدفع في عجز حصاني ليجتاز في المصرف على هذه الخشبة التي في ضيق الصراط فانتبهت وصحت :

— أنت مجنون يا خفير ... أمر من هنا أنا والحصان :

فبدت على وجه الرجل دهشة :
سبق لك يا سعادة (البك) البرور من هنا بالليل أنت والحصان

فدطرت إلى الخشبة في شبه رعب :
أنا ؟ عدت بالليل المصرف من هنا على هذه الخشبة ؟ وكنت وقتها فوق الحصان ؟ مستحيل — الطريق واسع يا بك والحصان عاقل ...

ولم أزد أن أصني إلى كلام الخفير أكثر من ذلك . فإذا كانت هذه الخشبة طريقاً متسعاً في نظر هذا الرجل فهو من غير شك سيجتاز الصراط في الآخرة ركباً جميلاً . أما عقل الحصان فإن ضمنه هو ، وهو ليس رأكبه ، فما يحملني أنا الراكب على هذه الضلالة الخطرة ؟ وأسرعت فزلت إلى الأرض واجترأت المصرف ماشياً على قدمي فوق الخشبة ، معتمداً على عصاي ...

نرفيع الحكيم (يجمع)

فاستويت على قدمي إذ ذكرت للفور أنت جلسة الجنيح اليوم ، وقد فاتني أن أدبر الأمر من الليل حتى يخلفني فيها نائب من الرملا . فلا مغر لي إذن من العودة المأجنة حتى أحضر الجلسة في الميعاد . — يا حضرة المعاون : هات البنت في « الموكس » ...

وأقلنا المخضر على أن نستأنف التحقيق بعد الجلسة في دبر الليلة . وقتنا إلى « الركاب » فامتطيناها عائدتين ... والشيخ عصفور خافنا يصيح ويلوح بعوده الأخضر في حركات الثائر المهتاج :
— هي بعينها :
والمأمور يجيبه :
— اعقل ...

هي بعينها . برمشها . عرفتها . برمشها . — اعقل يا شيخ عصفور . وافطن لنفسك ، تقع من فوق الجحش :
ودب التعب في أعصابي فأنحيت على ظهر الحصان ، ولكن نسيم الصباح الرطب كان يضرب وجهي صربات خفيفة كأنها أظلمات مروحة في يد مأجنة ظريفة . فلم أقفد نشاطي وطفقت أفكر ، وإذا غناء العصفور يرتفع بقة شديداً كأنه نثني قد انحلع مع قلبه :
— ورمس عينيها بفرش ...

ولم أسمع البقية . بل سمعت شيئاً سقط على الأرض فالتفتت فألفيت الشيخ عصفور بأطواره على الأرض قد ورش ... فوقتنا . وأسرع إليه الخفراء حمله إلى حمارة ، فاستوى عليه وهو ينفث عن جسمه التراب صائحاً مستأنفاً :
— ... على فدان ...

وسمعت المأمور ومساعدتي يصحكان كحكا صافياً .



من أعماق النفوس



اعتراف فتى العصر

لألفريد موسى

بقلم الأستاذ فليكس فارس

مترجم

في مثل هذه السنة منذ قرن كامل كتب ألفريد موسى الأديب الخالد كتابه (اعتراف فتى العصر) ليصف الأدواء التي استحكمت بأبناء جيله بعد أن اجتاحت أوروبا بأسرها أعاصير الحروب ، ووقفت على أطلال عالم منسحق شبيهة بعملة آمالها وترمز إيمانها

ولقد رغب إلى الأستاذ الكبير أحمد حسن الزيات صاحب الرسالة التي نير أدنى الشرق العربي بالحكمة ، وصاحب الرواية التي تختار لها من الأدب العالمي أصنافه مورداً لتنقيف العواطف الخائفة في النفس الجديد ، أن أرجم هذه النحلة الأدبية الخالدة ؛ فترأت عند رأي أنه صادف هوى في نفسي ، إذ أنني أرى ما يراه الأستاذ الكبير من أن اعتراف فتى العصر هو خير ما يهدي للشبيبة العربية الواقعة على أطلال حضارتها القديمة متطلعة إلى مستقبل مجهول ، حائرة بين تذكاراتها وآمالها .

عن الاسكندرية فليكس فارس

الجرجة الأولى

الفصل الأول

لا يدون تاريخ حياته من لم يبتل الحياة ،
فما أكتبه ليس تاريخاً لحياتي

منيت في شرح الصبا بعملة نفسية تروعت لها
ثلاثة أعوام ، وهأنذا أسرد ما تحماته منها
ولو أنني كنت المصاب وحدي بهذه العلة
لاخترت كتابها ، ولكن الكثيرين يشكون الداء
الذي أشكو ، فإلى هؤلاء أوجه رسالتي ؛ وسواء
استوقفهم بيان أوسروا به غافلين ، فإن هذا البيان
سينهش ما أطبقت الذوائب عليه مني كما ينهش
الثعلب رجله ليتحركها للفخ وينجو بنفسه

الفصل الثاني

في إبان الحروب الامبراطورية ، بينما كان الآباء
والاخوة في بلاد الألمان ، قذفت الأمهات المضطربات
هذا الوجود بسلاية شاحبة عنيفة مستعرة الأحشاء ،
تلك سلاية تمخضت الحياة بها بين معركتين ،
وربيت في المدارس على دوى الطبول ، فكان إذ
ذاك ألوف من الأولاد يحدج بعضهم البعض الآخر

وكان أبناء ذلك العصر بنشقون الحياة تحت تلك السماء الصافية الأديم حيث لمت الأبحاد وتموجت الأنوار منعكسة على الفولاذ ، وماجهات تلك الشبيبة أنها ممددة المجازر ، ولكنها كانت تمقد أن (مورات) أرفع من أن يناله الموت ، وكانت رأت أن الامبراطور يعربين كرات المدافع ويقطع أحد المعابر هازماً بنفثات البنادق فداخها الشك في انسانيته وحسبته من أبناء الخلود

وما كان ملك الموت ليلقى الذعر في روع هذه الشبيبة وهو متشح برداء البهاء والجلال تتصاعد منه أبخرة النجيع كأنه بشير الأمل لا نذير الغناء وكأنه ، وقد حصد بمنجله حقولاً من السنابل الخضراء ، استمد منها الفتوة فلاح غض الأهاب فاضر الشباب

لقد أصبحت الشيخوخة وهما من الأوهام ، واستحالت المعهود كما استحالت النعوش أيضاً دروعا غلفت فرنسا ممن يدب على أرضها من العاجزين فلم يبق على تلك الأرض إلا إنصاف آلهة أو أشلاء أموات

وقف يوما هذا الامبراطور الذي حسبته الناس خلداً على أكمة أشرف منها على سبعة شعوب تتناحر ، وما كان يدري أيعتمد حكمه إلى آخر العالم أم يقف عند نصف العالم ، فرّبه عزرائيل وبلمسة من طرف جناحه دفع به إلى عباب الأوقيانوس الفسيح

وبلغ دوى سقوطه آذان الدول المنطرفة على أسرة الاحتضار فجلست تقاوم أوجاعها ومدد الملوك راحاتهم المتقلصة فاقتسموا أوروبا ، واتخذوا من وشاح القيصر مرقعاً يستترون بها

شرراً وهم يمرتنون على القوة عضلاتهم الضعيفة . وكان الآباء الملتطخون بالدماء يلوحون للأبناء من حين إلى حين فيرفعونهم لحظة إلى صدورهم المحلاة بالذهب ثم يتركونهم إلى الأرض ، ويعودون إلى صهوات الجياد

ولم يكن في فرنسا غير رجل واحد يتمتع بالحياة ، أما الباقيون فكانوا يجتهدون أن يملأوا صدورهم من الهواء الذي كان ينشقه ذلك الرجل ثم يفر به إلى الناس ؛ وكانت البلاد تقدم له كل سنة ثمانية ألف من شبانها جزية فرضت للقيصر ليتمكن وهو يحرقها كالساعة ورائه من بلوغ الأبحاد التي يطمح إليها ، بل ذلك هو الركب الذي كان يحتاج إليه ليجتاز الدنيا متجهاً إلى الوادي الحقيق حيث ترمى على جزيرة قفراء تحت أغصان الصفصاف الباكي

وما مرت في التاريخ ليالٍ ساهدة كالليالي التي مرت في عهد هذا الرجل ، وما شوهد في أي زمن من الأزمان مثل هذا العدد الفقير من الأمهات ينتجن منفعات باقيات على الأسوار والحصون ؛ وما أصنى الناس برهة إلى من يتحدثون عن الموت إصفاءهم في تلك الأزمان ، ومع ذلك لم يشهد التاريخ مثل ما تجلى في ذلك العهد من سرور ومن قوة حياة ، وما أوقدت موسيقى الحروب من حماس في كل القلوب ؛ وما لمت في فرنسا شمس كتمت الشمس التي جففت على الأرض أنهاراً من الدماء ؛ وكان الناس يصفونها بشموس أوستراتز ويعتقدون أن الله إنما يشرقها لخدمة ذلك الرجل ؛ غير أنه هو كان يطلقها من أفواه مدافمه المرعدة فلا تنمقد من نيرانها اليوم إلا في اليوم التالي لمعاركه .

الحروب للحروب ، وراودت أحلامهم طوال خمس عشرة سنة تلوج موسكو وشمس الأهرام . وما كانوا خرجوا من مدائنهم ، ولكن قيل لهم إن أبواب كل من هذه المدائن تقود الى عاصمة من عواصم أوروبا . لقد كان العالم بأسره مائلاً في خيال تلك الشبيبة ، ولكنها كانت تجبيل أبصارها على الأرض والسماء والطرق فتراها كلها مقفرة خالية ، ولا تسمع إلا رنين أجراس الكنائس تفرغ الهواء من بعيد

واجتازت الحقول أشباح ناحلة تنخطر على

مهل ساحبة أردانها السود

وطرقت الأشباح أبواباً أخرى لتبرز للسكان أوراقاً أخفها الزمان ، وتأمرهم باخلاء منازلهم . وانفجرت الحدود القفلة عن رَهط المهاجرين الذين هرعوا الى فرنسا ولم تزل على وجوههم آثار ما نزل بهم من الخوف منذ عشرين سنة . وساد الصخب وعلا الضجيج ، فدهش العالم لميعة واحدة تستجلب مثل هذا العدد الغفير من الغربان

وجلس ملك فرنسا على عرشه وهو يقالب نظره في رياس قصره خشية أن يكون قد تبقى عليها أثر من شارات الأجداد البائدة ، فتأب حوله رَهط المائتين يدٌ بعضهم يد الاستجداء فينفجهم بالمال ويقدم البعض الآخر له صليباً فينجحن مقبلاً هذا الصليب

وناجاه البعض بالمديح والاطراء فأشار الى مثل هؤلاء بالذهاب الى القاعة الكبرى حيث تتكفل الأصداء بأذاعة مجده الملك العظيم ... وزحف آخرون عند أقدام العرش عارضين ما أخلق الزمان من أرديتهم وقد نزعوا عنها شارات العهد البائد ،

يواصل المسافر السير بالسرى ويقنجم الحرّ والقرّ ووجهته مقرّ عياله دون أن يشعر بثقل السهد أو يبالى بما يحدث به من أخطار إلى أن يستقر بين أهله ويجلس أمام الموقد ؛ حينئذ يحلّ عليه التعب فلا يجد في عضلاته من القوة ما يستعين به على الزحف إلى سريره ؛ وما كانت فرنسا حينذاك إلا مثل هذا المسافر حين مات قيصرها فترملت ، شعرت فجأة بما ألتحمها من جراح ، فسقطت لاني واستغرقت في نومها حتى حسبها ملوكها الشيوخ ميتة فطرحوا عابها الأكفان البيضاء

ورجع الجيش القديم فلولا أرهقها المياه وعلا المشيب مفارقها ، فعادت الأنوار تشع حزينة في باحات القصور المقفرة

حينئذ أقبل رجال الامبراطورية الذين جابوا الإفطار وملأوها دماً على نساءهم الشاحبات ، وقبلوهن متحدثين عن الغرام القديم ، وتحولوا إلى مياه الغدران ينظرون فيها الى وجوههم وقد خدّدها الهرم فتذكروا أبناءهم وهم يقتربون الى الحين الذي يذكر الانسان فيه من بغمض له أجفانه

وخرج الأبناء من المدارس ، وإذا لم يجدوا لا سيوفا ولا دروعاً ولا فرساناً ، أجالوا الطرف مفتشين عن آباءهم ، فقيل لهم إن الحرب قد انقضى عهدها ، لأن القيصر قد مات ، وأن صورتي وإنكنتي وبلوخر معلقتان على جدران السفارات ، وقد كتب تحت كل منهما : (نَحْنُ أَيْضُ الْعَالَمِ)

في ذلك الحين ربضت على أطلال العالم القديم شبيبة تتنازعها المموم

وكان كل هؤلاء الشبان نقطاً من الدماء المحرقة التي غمرت وجه الأرض . ولدوا في أحضان

السحرية ، ولكنهم شاهدوا وهم عائدون إلى مساكنهم ثلاث جثث لثلاثة شبان تجرأوا على التلطف بكلمة الحرية ؛ فررت على الشفاء ابتسامة ملؤها الأمل

وارتقى المنابر بمد ذلك خطباء آخرون فتكلموا عن مساوى الحروب وأخطار الانتفاض ، وأفاضوا بذكر المطامع وتكاليفها قائلين إن الحروب مذابح والمعارك محازر . وتكلموا تكررآ وتكلموا طويلاً حتى تمررت النفوس من أمانها كما تمرى أشجار الخريف من أوراقها ، فكان السامعون يمدون أيديهم إلى جباههم يتلمسسونها كما يتلمس المحموم موضع شعوره وهو يفتق من غيبوبته

وقال البعض لقد سقط الامبراطور لأنه أدهق الشعب ، وقال آخرون — إن الشعب أراد الملكية بل الحرية ، بل سيادة العقل ، بل سيادة الدين ، بل الدستور الانكليزي ، بل الحكم المطلق . فارتفع بين هؤلاء المفترضين صوت قائلاً — لا ، لم يرد الشعب شيئاً ، إن ما أراداه الشعب هو أن يرتاح (ينزع) فليكس فارس

قصص اجتماعية

مترجمه: بقلم الأستاذ محمد عبد الله عنانه

مجموعة من القصص الرفيع الشائق الثمانية من أعلام الأدب الفرنسي هم : بورجيه ، كوييه ، أناتول فرانس ، موباسان ، تيريه ، مارسيل برينو ، دي بانفيل ، جان لوران . مع تراجمهم النقدية . ومترجمة بأسلوب فائق في ثلاثة سبعة طبع دار الكتب
ثمنه ١٠ قروش ويباع مؤقتاً بـ ٦ قروش بمخص ٥٠ ٪
عند البريد وهو قرشان لداخل القطر وأربعة خارجه
ويطلب من إدارة الرسالة ، ولجنة التأليف والترجمة
وجميع المكاتب

فكان الملك بأمر لهؤلاء الخونة بالخلع السنية ... وكانت الشبيبة تشهد هذه المهازل متوقعة ظهور خيال القيصر على شواطئ (كان) يرسل عاصفته الكاسحة على هذه الحشرات

تمتدت الآمال وطال السكون ، فلم تلج في الآفاق غير الزنايق الصفراء شارة للملكية المتحكمة وسأل الفتيان عن الأجداد فقيل لهم : اعتنقوا الكهنوت

وسألوا عن الأمانى فقيل لهم : اعتنقوا الكهنوت
وسألوا عن الحب والقوة والحياة فقيل لهم : صيروا كهنة

واعتلى المنبر في ذلك الزمن رجل يحمل عقده اتفاق بين الملك والشعب ، فقال : جميلة هي المظامة والمطامع والحروب : ولكن هنالك ما هو أجل منها جميعاً : هنالك الحرية

فرفع الفتيان رؤوسهم وتذكروا أجدادهم الذين تكلموا هم أيضاً عن الحرية ، وعادت إلى مخيلتهم تلك الدمى الرخامية التي كانوا يرونها في زوايا بيوت آبائهم ، وقد تدأت شعورها ونقشت على قواعدها توارخ رومانية

وتذكروا أيضاً أنهم شاهدوا أجدادهم في ليلة تمسح بهزّون رؤوسهم ويذكرون معارك تفجرت فيها الدماء بما يفيض عن النهر الذي أسأله الامبراطور . لذلك دوت كلمة الحرية في آذان هؤلاء الفتيان بصوت نبضت له قلوبهم كأنهم يصغون في آن واحد إلى صوتين : أحدهما صوت الذكرى البعيدة المروعة ، وثانيهما صوت الأمل المنشود يتراجع من مستقبل أبعد من الماضي

هزت كلمة الحرية هؤلاء الفتيان بنشوتها



الأوديسية

لهوميروس

بقلم الأستاذ دريني خشبة

مقدمة :

ميرثا (باللاتينا) -- تويد اليونانيين ؛ والأخرى
— وفي مقدمتها أولولو ونيتيون (بوسيدون) —
تويد الطرواديين . وقد تناولت الألياذة ذاك الصراع
الطويل المائل الذي نشب بين الطائفتين تحت أسوار
طروادة ، والذي انتهى باندحار الطرواديين ، وغلبة
اليونانيين ، وحرق طروادة وتخريبها . أما الأوديسية
فتمتصر على عقيب واحدة من عقبيات تلك الحرب ،
ألا وهي عودة البطل العظيم (أوديسيوس) ^(١) إلى
مملكته إيثاكا بعد مجازفات جمة وعقبات كثيرة
اقتحمها جريماً بعد طول الجلد والصبر الجليل ، واحتمال
أذى (نيتيون) رب البحار وألد أعداء أوديسيوس .

ولقد ظلت ملحمتا هوميروس (الألياذة والأوديسية)
المعين الذي لا ينضب لجميع شعراء اليونان ؛ فكلهم
أخذوا منها موضوعات دراماتهم ، وكلهم كانوا
ينظرون إليها كمثلهم الأعلى الذي لا مثل لهم فوقه .

(١) Odysseus أو أوليسير Ulysses كاسميها في الألياذة

هذه هي القصيدة الثانية الخالدة ، واللحمة المعجزة
السكبري ، للشاعر اليوناني الأعمى هوميروس ، تقدمها
لقراء الرواية ، كما قدمنا أختها (الألياذة) لقراء الرسالة
من قبل . وستكون ترجمتنا للأوديسية أكثر جتنا للألياذة
أي ترجمة تلخيص ؛ فقد وردت في ثنايا القصيدة تنف
أسطورية لأصبر لجمهرة القراء على الاطلاع بها . ومن أجل
ذلك آثرنا إظهار الصور الهوميرية الرائعة التي اشتملت
عليها الملحمة دون الحواشي المربكة التي تنلف روعة
هذه الصور

هنا ، والأوديسية مرتبطة بالألياذة ارتباطاً هيناً
بحيث لا يحول بين من لم يقرأ الألياذة وبين هذه الترجمة ،
وسنجهد في شرح القط (القليلة) التي تقتضى العود
إلى الألياذة

نصير

لم تكن حرب طروادة معركة بين طائفتين
من الناس فحسب ، بل كانت كذلك حرباً عواناً
بين طائفتين من الآلهة : أحدهما — وفي مقدمتها

والآثم، ممزقين في دار الغربة كل ممزق، بتجشمون
المصائب والأهوال، ويتخبطون بين موج كالجبال،
ويخلصون من بحر إلى بحر، ومن روع إلى روع.
فاذا أرسوا على أرض وظفوا أنهم نجوا، أفزعهم
فيها غير الذي رجوا ...

ولقد رقت قلوب الآلهة، وودوا لو أدرکوا
برحمتهم أوديسيوس ... إلا نبتيون الجبار، رب
البحار، الذي يضرر للبطل في أعماقه كل كراهة
وكل بغضاء، وآلى أن يصب على رأسه كل تلك
الأرزاء ...

وحدث أن كان نبتيون في حرب مع الأثيوبيين
فأنهزها الآلهة فرصة سانحة، وعقدوا مجلس الأواب
في ذروة جبل إيدا، وتفضل الآله الأكبر،
زبوس^(١)، فافتتح الجلسة بكلمة مغلظة توجع فيها
لما يلقاه بنو الإنسان من صروف الحدان، واستطرد
فذكر مأساة أجا ممنون المسكين وما لقيه على يدي
زوجه وعشيقتها الأثيم إيجستوس^(٢) من غدر وغيلة،
ثم أنحى بالألعة على هؤلاء البشر البائسين الذين
يقولون إن كل ما يصيبهم من خير وضر هو من
عند الآلهة، وما هو إلا من عند أنفسهم ... ولكن
لا يفهمون :

ثم نهضت ميرفاربة الحكمة، ذات العينين
الزبرجديتين، فأيدت ما قال أبوها سيد الآلهة،
وأثنت عليه، ثم ذكرت أوديسيوس ... « ذلك
التعس المسكين الذي تخبطه وصحبه البحر،
وقضى عليه - دون أقرانه جميعاً - أن يشقى هذا
الشقاء الطويل، عند عروس الماء الفاتنة كايوسو

ولقد لخصنا لقراء الرسالة درامات إسخيلوس
وإحدى درامات سوفوكليس، ورأينا كيف كان
هوميروس رائدهما جميعاً كما كان رائد أقرانهم من
قبل ومن بعد : بندار وهسيود ويوربيدز ...

- ١ -

أنشد يا هوميروس :

وظل في فم الأبد قيثارته السُرّنة، ونأبته
المطرب، وعوده الآن، ونغمته الحلوة الحنون :
أنشد يا شاعر المُصنّر الخالي

وحل في الأسماع موسيقى مدوية، وفي العيون
دموعاً جارية، وفي القلوب رحمة ومحبة : وانفج
عرائس الشمر من لدنك سلطاناً، وحكمة وبيانا،
ومريراً وصولجاناً

تفنن يا شاعر أولب !!

ولترسل من جنتك نعمة تنظم الأفلاك،
ورنة تجلجل في الأفق، وآهة تزلزل قلوب الجبارين !

سقطت إليوم^(١) وتزع المغير بخيله ورجله .
فتما آلى يا عرائس الفنون فافتقدى أوديسيوس في
ذلك البحر اللجج يدرعه : موجة تلبسه وموجة
تخلمه، لا يعرف لملكته ساحلا فيرسو عليه،
ولا شاطئاً فيقصد إليه ... يخبط في اليم على غير
هدى، ويرسل عينيه في الماء والسما على غير
بصيرة ... زرقة متصلة في المُسَلو والسفل، وتيسه
لانهاى يخبط في أحشائه أسطول السادة المنتصرين ...
والأقذار وحدها تعلم لم ضل أوديسيوس
يجنوده في ذلك المباب، وقد عاد كل أقرانه إلى
هيلاس بمسد طول النأى وشحط الدار، إلا هو

(١) Zeus أو Jove أو Jupiter

(٢) عرضنا كل ذلك في الرسالة في المجلد الثاني من

السنة الرابعة

(١) Ilium هي طروادة

إلى مولاها أن ينفذ ولده هرمن إلى جزيرة أوجيجيا ، فيأمر عروس الماء كاليسو أن تعد مركباً عظيماً لأوديسيوس ورفاقه ليمودوا عليه إلى أوطانهم ؛ ثم ذكرت أنها ستمضي من فورها إلى إيثاكا حيث العشاق المآفين يحاصرون قصر ينلوط ، وحيث ابن أوديسيوس المنكود ، تليماك ، يشهد خراب مملكة أبيه ولا يستطيع أن يحرك ساكناً لصغر سنه ... « إلى سألها إحساسه ، وأفتح عينيه على ما ينبغي ... سأجعله يخرج من هذه العزلة المعيبة ليعتد عن والده ، فانه لم يعد طفلاً بعد ... »

وانطلقت مينرفا فربطت نعلها السحريتين على قدميها الجليتين ، وحملت رمحها العظيم الذي تقطر المذايا من سنانها ، ووضعت تاجها المرصع على رأسها الكبير ، وأطلقت ساقها للريح ، حيث كانت بعد لحظة على مقربة من قصر أوديسيوس ، فهبطت من السماء إلى الأرض ؛ وفي لحظة انقلبت فالتحذت شكل الآدميين ، وتخابلت في جثمان الأمير منتس^(١) وطيلسانه ، ثم تقدمت فدخلت ردهة القصر الواسعة ، حيث اجتمع العشاق المجانين من من أجل وليمة ، وتلفتت بمنة ويسرة ، ورأت الفتى السادر السامح الحزين تليماك ، وقد تعقدت فوق جبينه هموم ... وهموم ، وتفضت ملء أساريره آلام ... وآلام

وما هو إلا أن لمحها تليماك حتى أخذه من هيبتها شيء عظيم ... فهب للقائها مسرعاً ، ثم مد لها يده مصافحاً وهو لا يعرف من هي ، وقال :

(١) يروى أن منتس كان بحاراً غنياً وكان يحمل هوميروس في رحلاته الواسعة من غير أجر ، ولذلك كافاه هوميروس بخلد اسمه بذكره هكذا في الأوديسيه

في جزيرة أوجيجيا ، ثمانية أعوام أوزيد . ماذا به ؟ ما جربته ؟ لماذا يُبنى هذا العبد الصالح في أقصى الأرض يا أبي ؟ إنه خير عبادك أجمعين . أذكر كم ضحى الأنصبيات باسمك ، وقدم القرابين من أجلك ، وحارب أعداءك ، وجاهد شائريك ! لقد نعى إلى أن كاليسو تحاول جاهدة أن تستميل قلب البطل ، وأن تنسبه وطنه إيثاكا ... بالبحول ! كيف يا أبتاه ! وهذه الزوجة التابعة ينلوط ؟ ! ينلوط المحزونة المرزأة ! ينلوط التي صبرت وصارت طوال هذه السنين على ما كرتها الدهر به من بعد زوجها ؛ ينلوط التي أحافظت على طهرها وإخلاصها ؛ أتظل هكذا سجيئة في قصرها المنيف الباذخ ، وبظل هذا القصر محاصراً بمشاقها المجانين من أمراء الأقاليم ؟ ! أبي ! يا سيد الأولب ! ألا تدرك برحمتك أوديسيوس ، وترده إلى وطنه ليندود هذه الكلاب التي ولت في حوضه وكادت تخوض في عرضه ؟ ! تداركه يا أبي ؟ تداركه بمطفة واحدة منك ، وإنك على إنقاذه لقوى مكين »

واستجاب لها سيد الأولب ، وقضى أن يعود أوديسيوس إلى إيثاكا ؛ ولكنه ذكرها رب البحار نيتيون ، وذكرها بما بينه وبين البطل من تراث ومارات ، « سببها هذه القملة الجنونية التي فعلها أوديسيوس بواحد من السيكاويس^(١) ، أبناء نيتيون إذ اقتلع عينه الواحدة التي كان ينعم بوساطتها بزيئة الحياة ... إطمئن يا بُنية وقرى عيناً ... إننا نحن الأعلون ، وسيرى نيتيون أنه لن يغلب الآلهة مجتمة أبداً ... »

وشاعت الغبطة في أعطاف مينرفا ، وتضرعت

(١) سيأتى ذكر ذلك في الكتاب العاشر من الأوديسيه

ولكن ... أوامه ! ... أين هو ! أين أوديسيوس العظيم الذى انقطعت عنا أخباره وبئسنا من عوده إلى دياره . ولكن حدثني بربك من أنت ؟ ومن أى الأقاليم قدمت ؟ ومن رجال البحر الذين ألغوا مراسيمهم عند إيثاكا ؟ أغريب أنت أيها السيد ؟ أم كنت فيما خلا من الزمان من أصدقاء أبى وأحبابه ؟ »

وقالت مينرفا ذات العينين الزبرجدتين :
« لهدأ بالك يا بنى ، فاني بحبيك على كل ما سألت . إنك ترى الآن منتس أمير (جزيرة الطافيين) البحارين ، وسليل انخيايوس الكبير . ولقد أبحرنا من جزيرتنا ميممين شطر جزيرة النحاس من أجل ذلك المسدن الثمين ، وصفائنا ملقية مراسيها بالقرب من غابات (نيوس) . ولقد كنا وما نزال من أحب ضيفان أبيك وأودهم إلى فؤاده ، فلما سمعنا بما حل به من شدة ، وببيته من لأواء إستوحينا آلهتنا فنخبرتنا أنه لابد عائد إلى وطنه سالماً غانماً ، وأنه لابد منتقم من هؤلاء النجار الأشرار ... ولكن خبرني بأربابك ، أفى الحق أنك لأنت ابن أوديسيوس العظيم ؟ إن ملاعك تشبه ملاعقه ، وإنك لقريب الشبه منه جداً ، وإن هذا البريق الذى يشع من عينيك هو نفسه الذى كان يشع من عيني أوديسيوس ، يا للآلهة ! كم سمرت إلى أبيك قبل أن يشد رحاله إلى طروادة ! فهل يقدر لى أن أسمر إليه مرة أخرى ؟ إننى من من وقتها إلى اليوم لم أره ، وهو كذلك لم يرني ... ما أشوقنى إليه ! ما أشوقنى إليه ! ... »

وشاع بارق من الأمل فى نفس تليماك فقال :
« ويحك أيها الصديق ! إننى أنا ابن أوديسيوس ما فى

» مرحباً مرحباً بالغريب المكرم ! هلم فشارك فى ذلك القيرى ، ولتحدث بعدها فيما أقدمك إلينا . مرحباً مرحباً وأهلاً وسهلاً ! ... » وإدلف نحو الصالة المزخرفة وتبعمته مينرفا ، وفى عنانها رعمها الجبار الذى بقدر من سنانة الشرر ؟ حتى إذا بلغا العمود الأكبر الذى أسندت إليه مئات الرماح ، والذى كان أوديسيوس يسند إليه رماحه وعدة حربه ، تناول تليماك الرمح وأسنده بعد جهد ، حيث برز بكل عظمته وكل جلاله بين رماح العشاق الفاسقين . وتقدم نحو أربكة وثيرة منمذلة ، وسأل مينرفا فاستوت عليها ، وكأمانة بما من من أن يستمع إليهما أحد ... وأقبلت جارية فينانة رائحة تحمل طستاً وإبريقاً من الذهب ، فصبت الماء على يدي الضيف ويدي تليماك ؟ ثم مضت فأحضرت مائدة نسقت عليها الورود والرياحين ، ونشط النادل^(١) يحمل أطباق الطعام والفاكهة والخموى ، فبأنى بها ملأى وبعضى بها فارغة ... والندمان^(٢) فيما بين ذلك يجذب الرق^(٣) إليه ويسقى ... ثم يسقى ... وشرع العشاق المجرمون بدورهم ياتهمون ما لذ لهم وطاب من آكال وشراب ... حتى إذا انتهوا شرع فيمبيوس نابه وانطلق بغنى

وانتهز تليماك فرصة انصراف القوم إلى لهوهم وشرابهم فسامل الضيف قائلاً :

« يا أعز الأصدقاء ! أرايت إلى أولئك الفساق ، لو أن رب البيت هنا أكانوا يلهون لهوهم هذا أو يفسقون فسقمهم هذا ؟ كلا ! لقد كانوا إذن أصرع إلى الهرب ، منهم إلى ذاك الطرب ؟ »

(١) النادل خادم المائدة

(٢) الندمان ساقى الخمر

(٣) الرق قربة الخمر

الوفية ... الأم الكلوثة ... ينلوب ! ينلوب !
البابية المحزونة المسددة ! كنز أوديسيوس الذي
لا يقنى ! يطالبون يدها ولا يرجون وفاءها وبكاءها
ولأواءها ... فلا تستطيع أن تردم لجزها ، ولا
تستطيع أن تجيبهم وهي لا تدرى من أمر زوجها ...
وهم طوال هذه السنين يرغبون نعماء أبي ، فكهمين في
أشربات وآكل ، حتى أقفر الزرع وجف الفرع ،
وما أحسبهم مبقين على شيء ... حتى على !!
(ينبع)
دربى ضئيلة

ذلك رب ، والعالم كله شهيد بذلك »
ثم اختلطت الزرقعة بالخضرة في عيني ربة الحكمة
وقالت : « على رسلك يا تليماخوس ! إذن فما هذه
الولائم وتلك السُّمط ؟ وهذا الزحام من أين أقبل ؟
إني لأقلب ناظري في القوم فلا أرى شريفاً ذا حسب
يستأهل أن يُحتفى به أو يقام له وزن ! »

ويبتس تليماك ويحجب : « أيها العزيز ... لقد
هاجرت الفضيلة من هنا في أثر المهاجر العظيم ،
وكأنها آلت ألا تعود إلانعه ! وكان هو ، تداركته
السماء ! ياقتها هؤلاء بنظرة واحدة تكفى لتزول
منها الجبال ... وأبته ! لقد أطمع العاديات فينا
بطول نأيه . فيا للنوى ! إننا لا ندرى اليوم أين مقره
ولا أيان مستودعه . ولو قد خر تحت أسوار إليوم
لاجتمع الاغريق من كل حذب هنا ... هنا ...
في حاضرة إيثاكا ليدرفوا دموعهم من أجله ،
وليقيموا له نصباً عالياً رفيع الذرى شاهق الأرواق ،
وليكتبوا اسمه الكريم في صحائف صدورهم بمداد
أبدى من التبجيل ... ولكن ! ... وأسفاه ... !
لقد انتصر انتصار الأبطال ، ثم مضى على وجهه
وراء البحار وفي فجاج التبج ، وغدوما لا تحلم
العين بنظرة مفردة منه ، ولا الأذن بلفظة عذبة من
لسانه المبين ! ... تباركت يا آلهة الأولمب ! ماذا
عندك من الأقضية المخبوءة لي ؟ الذئاب ! إي يا آلهة
هذه الذئاب ! وحوش البرية التي اجتمعت من كل
فج ... من الجزائر المتناثرة في البحر ، ومن المداين
المترامية في البر ... من ساموس وداشيوم
وزاكنثوس ومن كل إقليم وكل مصر ... كلهم
يرابطون حول هذا القصر ولا يستحيون ...
الفُساق ! الأوشاب العرايب ! يطالبون يد الزوجة

ظهور هدينا كتابا :

الموجج

ف

المحادثات

(١) فرنسي رانجلزى روبري

(٢) فرنسي روبري مع نصير النطير

تأليف الأستاذ محمود محمد سالم خريج التجارة العليا بليون
ورئيس القسم الأوروبي بدار المحفوظات العمومية بالقاهرة
كلهما دروس عملية لا تحتاج إلى مرشد ، الأول
يأخذ بيدك عن طريق المقارنة ، والثاني يتفاد بك على
عقبات النطق ، بكل منهما ٥٨ موضوعاً واقياً :
مفردات ، محادثات ، رسائل ، صنوان يذللان لك جميع
الصعاب ، ليس في غنى عنها أو أحدها طالب أو راغب ،
والكتابان مطبوعان بمطبعة لجنة التأليف والترجمة
والنشر طبعاً متقناً على ورق جيد
يباعان بجميع المكتبات وتمن كل منهما ٦ قروش مجلداً
ويطبان بالجملة من مكتبة مصر بشارع الفجالة ، بمصر

سلفت قد استطاع أن يصل منه إلى بقعة هي في مستوى عيني ، وليس بين تلك البقعة وبين القمة إلا مقدار ما بين عيني وقمة رأسي . أما ارتفاع الجبل الحقيقي فيبلغ تسعة وعشرين ألف قدم ، وما بقي منه يتحدى مغاليبه يبلغ الألف فحسب ، بل إنه في الواقع دون الألف بقليل

وسياتي عاجلاً أو آجلاً اليوم الذي يرقى فيه الانسان قمة ذلك الهرم الساخر من قدرته . وليس ما يتساءل عنه الآن هو إمكان صعوده ، وإنما سؤاله هو : « متى يكون ذلك الصعود ؟ »

ويرجع تسمية أعلى جبال العالم باسمه هذا ، إلى « سير جورج إفرست » ، الرجل الذي حدد موضعه وقاس ارتفاعه ، وهو على بعد مئة ؛ وما كان يمكن قبل أن يدنو منه أحد ، فلقد ظل الكثيرون من بوابل المتساقين زماناً يرجون الوصول الى قاعدته ليروا ماذا يستطيعون فعله حيال هذا الجبل الشاهق . وإن يتيسر الوصول الى تلك القاعدة الا عن طريقين ، أحدهما يخترق قرية « نيبال » والآخر يخترق قرية « نيت » ؛ ولكن حكام كلا القريتين كانوا يأبون أن يسمحوا لأحد بالوصول الى الجبل . ذلك أنه عندهم بمثابة « أولبوس » عند الأغريق ، أعني أنه مقر آلهتهم ، ومن أجل هذا ظلوا زمناً مصممين على منع الدنو منه

ولقد قام « سير جورج إفرست » بتحديد ارتفاعه عام ١٨٤١ . وبعد ذلك بثماني سنوات سوياً برهنت حكومة نيت على مقدار ما تنكته من شهور الودة نحو بريطانيا ، بأن سمحت بما كانت تأباه من قبل



إذا قدر للانسان أن يصل إلى قمة إفرست ، فإنه بذلك يضيف نصراً عظيماً إلى سالف انتصاراته على الطبيعة . وليت شمري ماعسى أن نجى به الأيام في أمر تلك المحاولة الهائلة ؟! على أن الانسان الآن من تلك القمة الشاهقة على قاب قوسين ! أجل ليس ثمة الآن من مسافة بين البقعة التي وصل إليها الانسان أخيراً وبين تلك القمة التي تعتبر أعلى مكان في كوكبنا هذا ، إلا بقدر ما تسميه جولة يسيرة . ومن هاتيك البقعة تبدأ المحاولة الكبرى أو يبدأ الامتحان العظيم ، فإن تلك الجولة اليسيرة طالما قهرت الانسان وردته ، وظلت قمة إفرست على قربها من الانسان قريباً يتحداه وبضايقه ، لم تطأها إلى اليوم قدم بشرية !

ومن الصعب أن نتبين مدى قرب الانسان من النجاح في تلك المحاولة ، ولكن فلأحاول أن أصور الموضوع لذهنك بعض التصوير

هأنذا رجل يبلغ طولى ستة أقدام ، فهل في وسعك أن تتخيل نموذجاً صغيراً لهذا الجبل في نفس الطول ؟ إذا استطعت أن تمثل في خاطرك هذا الجبل الصغير فاعلم أن الانسان في عدة محاولات

ولكن مع أن التسلق لا يبدأ فعلاً الا في أول مايو ، فإن ما يسبق ذلك من أهبة يبدأ قبل عدة شهور . فلا بد أن يبحث عن قائد ؛ ثم لا بد أن يتخير ذلك القائد من الرجال من يصحبه ؛ وهو في ذلك لا يبحث عن مهرة التسلقين فحسب ، بل تراه يبحث عن تقارب قوى احتمالهم حتى يواصلوا السير جماعة ، فإن الصمود الى مثل ما يبتزون ارتقاءه من الارتفاعات يفقد المرء اتزانه ، وبشييع الهياج والاضطراب في أعصابه

ولن يقتصر الأمر على ذلك ، بل لا بد من اعداد أطنان من المؤن وشتى الأدوات وإرسالها جميعاً الى الهند ، ثم يلتقى الرجال ومعهم متاعهم عند « دراچيانج » ؛ وهناك يستأجر المحالون من الوطنيين وما تطلبه الحملة من حيوانات ؛ ومن ثم تسير القافلة الطويلة قاصدة الجبل مخترقة السهول الرملية تارة ، ومتسلقة الشهاب المترسة تارة أخرى . وعند ما تباع القافلة الى قاعدة أفروست تجد نفسها على بعد هائل من مستوى سطح البحر ،



بنشأ المعسكر الأول - أو معسكر القاعدة كما

على أن أولى الحملات التي أرسلت على هذا الجبل لم تقع إلا عام ١٩٢١ ، وكانت وجهتها في الحقيقة معرفة ما إذا كان من الممكن تسلقه . ومن البديهي أنهم لو وجدوا ذلك يسيراً لما كان هناك من الأوامر ما يحول بينهم وبين السير إلى القمة ، ولكن الفرض الأساسي للحملة كان معرفة مدى ما يمكن الوصول اليه

ويقع جبل أفروست على بعد ثمانين ميلاً من « دراچيانج » أقرب مكان اليه في الهند . ولقد أظهرت المناظير المقربة أن من الممكن تسلقه . على أنه حتى ذلك اليوم لم يتعد أي رجل من البيض في قربه من الجبل أكثر من أربعين ميلاً . ومن المسلم أن ما يقف عليه المرء من المعلومات عند سفحه أضعاف ما يستطيع الوصول اليه على ذلك البعد ؛ ولكن البعثة على الرغم من ذلك وصلت إلى نتيجتين كلتاها على جانب عظيم من الأهمية : أولاً أنه إذا كان من الممكن تسلق الجبل فلن يكون ذلك إلا من جهة واحدة ؛ والثانية أن كل محاولة لا بد أن يتقرر نجاحها في الفترة ما بين أول مايو ومنتصف يونيو . وعلّة ذلك أنه لا يستطيع أي إنسان الصمود على جوانب ذلك الجبل في معظم شهور السنة نظراً للأحوال المناخية القاسية ؛ حتى إذا كان مايو تحسنت تلك الأحوال بعض الشيء ، ولكن ذلك التحسن لا يدوم طويلاً ، ففي منتصف يونيو يبدأ تهطل الأمطار الموسمية على الهند ، ولن يقف أمر تلك الأمطار عند ما يصحبها من رداءة الجو ، بل إن الثلج في ذلك الوقت يأخذ في الزحف من مكانه وذلك هو الموت

في عروقها متجمدا ؛ وإذا زلت قدمك قيد شبر
فهناك الموت ينتظرك في قرار سحيق ؛ ومع كل
هاتيك الأهوال كثيرا ما يتضارب الحالمون من
أجل ذلك الامتياز : امتياز حمل الأثقال بين
المسكرات . ولا غرابة بعد ذلك أن يسميهم
المتساقون من البيض « بالثور »

واسكل قائد حملة خطته في تعبئتها والسير بها .
وهأنذا أعرض عليك فكرة عامة مما يغلب
حدوثه في تلك الخطط . يتقدم رجلان من البيض
ومعهما ما يطلبون من الحالمين حتى يصير الجميع على
ارتفاع خمسة وعشرين ألف قدم ، وهناك يبنون
المسكر الخامس ويحطون عنده رحلهم ، ليريحوا
أجسامهم المكدودة فترة مما نالها من نصب . وفي
اليوم التالي يستأنفون تصميدهم حتى يبلغوا علو
سبعة وعشرين ألف قدم أو نحو ذلك ، وهناك
يبنون المسكر السادس ، فيأوى إليه الأيضان
ويرسلان الحالمين ثانية إلى المسكر الرابع ، وبذلك
يبقى الخامس خالياً ، فيسير إليه اثنان آخران من
البيض ويستقران فيه حيث يجدان الكثير من
المؤونة ووسائل الراحة

وفي صباح اليوم الثالث يخرج الرجلان الأولان
من المسكر السادس مبهمين القمة ، فإذا لحقهم
الغشل عادوا إلى المسكر الخامس ، وبذلك يبقى
السادس خالياً فيسير إليه صاحب المسكر الخامس ،
ويبيتان فيه ليلتهما . حتى إذا تنفس الصبح ، إن
كان ثمة من أصباح ، عما شطر القمة في دورهما وفي
أثناء ذلك يكون الاثنان الأولان في طريقهما إلى
المسكرات السفلى ليرسلا غيرهما من البيض كي

يسمونه - على مدى خمسمائة وستة عشر ألف قدم
من سطح البحر

ومن تلك القاعدة الأساسية تأخذ القافلة في
الصعود ، وتراها تقيم المسكرات على مسافات كلما
قطعت مرحلة في طريقها الرهيب ، ويكون السير
بطيئاً متدرجاً في الخفة حتى يتمود الرجال مقابلة تلك
الرياح العنيفة . وفي آخر مايو ينشأ المسكر الرابع
عند ما يسمى بالمقدمة الشمالية وهي إحدى الشمام
التي تربط أفرست بغيره من سلاسل الجبال ؛ ويكون
ذلك المسكر على ارتفاع ثلاثة وعشرين ألف قدم
وإذا تم بناء المسكرات وضع فيها من المؤن
ما يرجع إليه عند الحاجة ، كما أنه يترك فيها بعض
الرجال ، حتى يكون هناك من الحالمين من يقوم على
طول المسافة متنقلين أحياناً من مسكر إلى آخر ،
ومعنى ذلك أن يكون هناك طريق معبد آمن يربط
تلك المسكرات بعضها ببعض ؛ ويقوم البيض
بتعبيد هذا الطريق وشق ممرات ومسالك في الثناج
عند المنحدرات الوعرة ، والاستعانة بالحبال
عند الحاجة

ويكون كلا المسكرين الخامس والسادس
مركزاً للهجوم . وإقامة هذين المسكرين من أصعب
وأشق الأعمال ، فإن جانب الجبل في تلك المنطقة
أشبه بسقف المنزل ، ولذلك ينسدر أن تجد مكاناً
لإقامة خيمة واحدة . ناهيك بما يكتنف المكان
من ريح عاصفة غائبة تلزع الأجسام لدعا أليماً ،
فضلاً عن ذلك الزمهرير الذي يصل درجة من
الشدة بحيث لو أجات يدك برهة في عمل من
الأعمال وهي عارية من القفاز لا بد أن يقف الدم

وفي عام ١٩٢٤ وصلت حملة أخرى إلى قاعدة ذلك الجبل ، ولكن الثلج مالبث أن رى رجالها بقذائفه واستمر يحطر وابلأً عنيفاً من لدنه ، فبدل أن يصلوا إلى المسكر الثالث في يومين أو ثلاثة ، وصلوا إليه في أسبوعين ! وكانت درجة الجو يومئذ ثلاثاً وخمسين تحت درجة التجمد ! ومن أجل ذلك اضطر الحاملون وهم على ما هم عليه من بسالة أن يستقروا في أماكنهم متلاصقين لا يكادون يستطيعون حراكاً ، حتى تحسن الجو نوعاً فوصل الجميع إلى العقدة الشمالية ؛ ولكن الثلج لج في عناده ورمهم بأكثر مما رامهم به من قبل ، وراح عدد من الحاملين ضخمة بطشه وجبروته ، ونال البيض كثير من النصب والأعباء من جراء محاولاتهم إنقاذ هؤلاء البائسين ، ولذلك اضطروا إلى أن يرجعوا من حيث أتوا ليستعيدوا قوتهم ويجددوا عدتهم عند سفح الجبل !

وأخيراً بعد عدة محاولات استطاعت تلك الحملة أن تقيم خيمة لمسكرها على ارتفاع ثمانمائة وستة وعشرين ألف قدم ، وهو أعلى معسكر أقيم حتى ذلك اليوم . ونام في ذلك المسكر رجالان من البيض هما « نورتون » و « سمرثيل » ، وفي صبيحة اليوم الرابع من يونيو توجهوا نحو القمة فوصلا إلى علو ثمانية وعشرين ألف قدم ، ولكن « سمرثيل » توقف وتقطعت به الأسباب إذ كان يشكو مرضاً في حلقه ؛ وعول زميله الباسل على الزحف وحده فوصل إلى علو ثمانية وعشرين ألفاً ومائة وستة وعشرين قدماً ، ولكنه ما لبث أن أرغم على الرجوع . وفي تلك الليلة أفقده الثلج بصره !

يستقرا مكانهما في المسكر الخامس على استعداد للزحف

بهذه الطريقة يتوفر المتسلقون الجدد على التوالي . وإذا كان للاتنين الأولين شرف البدء في تلك المحاولة المظيمة ، فكثيراً ما يصيب من يليهما حظاً أوفر من النجاح ، وذلك لزيادة اعتيادهم تلك الظروف الجوية المريعة

وصلت أولى الحملات التي أعدت للهجوم على القمة إلى قاعدة أفرست في أول مايو عام ١٩٢٢ وهي السنة التالية للسنة التي وصلت فيها بعثة الكشف والدراسة . ولكن الثلج قصم أعوادهم وأوهن عزيمتهم وقضى على مجهوداتهم بالفشل . سار هؤلاء الأبطال أول الأمر حتى استطاعوا أن يبنيوا المسكر الخامس على ارتفاع خمسة وعشرين ألف قدم ، ومن تلك البقعة استطاع بعضهم أن يرقوا إلى سبعة وعشرين ألفاً ، ولكن المواصف الناجية المروعة كانت لا تقفأ تهدد الخيام بل لم يقتصر خطر الثلج على خيائهم فوصل إليهم في جوالق نومهم ! إلا أنهم على الرغم من ذلك عقدوا النية على مواصلة الزحف ، وتغلب عزيمتهم المصمم فترة على أهوال الثلج ، وما زالوا يكافحون منتصرين حتى اليوم السابع من شهر يونيو ، وهنا أنتابتهم كارثة جملة مواصلة الزحف في عداد المستحيل ، فلقد جرف هيار ناجي سبعة من الحاملين وهوى بهم إلى الموت معجلين ! وربما كان البيض يرغبون أن يضحوا بحياتهم بعد ذلك ، ولكنهم لم يجدوا لأنفسهم الحق في أن يسألوا بقية البواسل من الحاملين أن يتبعوهم ؛ وهؤلاء ان يكون لهم نصيب من الفخر إذا قدر للحملة النجاح

عاصفة شديدة على الاحتماء بخيمهم حتى اليوم العشرين من ذلك الشهر ، وفي تلك للمدة نفذ جميع ما كان بالمسكر من مؤن ، وعلى ذلك فبدلاً من أن تواتبهم القدرة على الصمود عقب هدوء العاصفة ، نرى أول عمل يقومون به هو تموين المسكر من جديد ، وزادهم نكدًا ما علموه على لسان من أرسلوا الى المعسكرات السفلى من مرض أحد المهرة المتساقين

ولسنا في حاجة بعد ذلك أن نأثي على كل ما حدث من المحاولات للوصول الى القمة ، وحسبك أن تعلم أن « جوجلز » أصيب بتجمد عينيه ، كما تراكم الثلج على أهذاب الرجال فجدها ؛ على أنهم استطاعوا رغم الصعوبات الهائلة أن يقيموا المسكرين : الخامس والسادس ، ولكن لم يتسن لأحد أن يصل الى أبعد مما وصل اليه « نورنون » عام ١٩٢٤ ؛ وما لبثت الأمطار الموسمية أن أرسلت سيولها ، وأخذ الثلج ينهار كتلاً هائلة ، فاضطرت حملة عام ١٩٣٣ أن ترجع مهزومة كما بقائهم

والآن بعد ثلاثة أعوام تصرح « نيت » ، بالزحف من جديد ، وهناك في المعسكرات السفلى يقيم مستر « رتلج » ورجاله يستمعون الى ما يحمله اليهم جهاز اللاسلكي من الهند من أنباء الجو وحالاته ويتطلعون الى القمة في لهفة مقدرين ومؤملين ...

فياليت شمري ماذا تخبؤه لهم الآلهة هذه المرة ؟

وفي تلك الأثناء كان « مالوري » أحد المتساقين في طريقة على جانب الجبل يريد القمة ، وكان فالوري ، هذا أحد أعضاء البعثة التي قامت بأعمال الكشف عام ١٩٢١ ، ولقد اشترك أيضاً في محاولة الوصول الى القمة عام ١٩٢٢ ، فكانت إذاً تلك المحاولة التي نحن بصدها ثالث محاولاته . ولقد زاده اليأس قوة ومضاء ، فعول على السير فأما الى قمة الجبل وإما الى هاوية الموت ؛ ولقد وصل وصديقه « ارثين » الى المعسكر السادس وأقاما هناك ليلة ؛ وفي الصباح التالي سارا نحو القمة ويعلم الله وحده ماذا كان أسرها إذ لم تقع عليهما عين بعد ؛ وكانت تلك المأساة المخيفة خاتمة الحملة الثانية ، وبعدها انقطعت المحاولات تسع سنين

ولا بد أن تكون حكومة « نيت » قد رأت من تلك المأسى أن الآلهة في تلك القمة المستعصية إنما كانوا ينزلون القصاص المادل بمن كانوا يحاولون الدنو من عرشهم ، وعلى ذلك رفضت تلك الحكومة السماح مدة بمحاولة جديدة ، حتى عادت في النهاية فسمحت بها في خريف عام ١٩٣٢ . وسرطان ما بُدئت أعمال التهيئة والاستعداد ، وفي السابع عشر من إبريل عام ١ٹ٣٣ ، أقيم معسكر القاعدة من جديد

وفي هذه المرة لم تواجه الحملة الثلج بحسب بل واجهت المرض أيضاً ، فلقد فل المرض من عزائم القائمين بها ، وكان المدد الأقل من هؤلاء الرجال من يصاح حقاً لذلك العمل الهائل . وأول نتيجة لذلك أنهم لم ينشئوا المعسكر الرابع الا بعد شهر ، أى في اليوم الخامس عشر من مايو ، ثم أرغمتهم